النحو العربي

نشأته مدارسه قضاياه ثماره

الدكتور

محمّد زكريّا محمود صاري

حُقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ ـ ٢٠٢٥م

بحث مقدّم لمجلّة جامعة غينيا العالميّة بكوناكري

الرقم المعياريّ:

مكتبة الكويت الوطنيّة: ISBN: 978-9921-0-4020-3

التحرير والمراجعة:

د. إيهاب عبده محمّد حيدرة الشيخ: منير إبراهيم عرسان

تصميم الغلاف:

الشيخ: محمد رجب سالم، وأخوه أحمد

النَّحْوُ العَرَبي

نشأته مدارسه قضاياه ثماره

د. محمَّد زكريّا محمود صاري

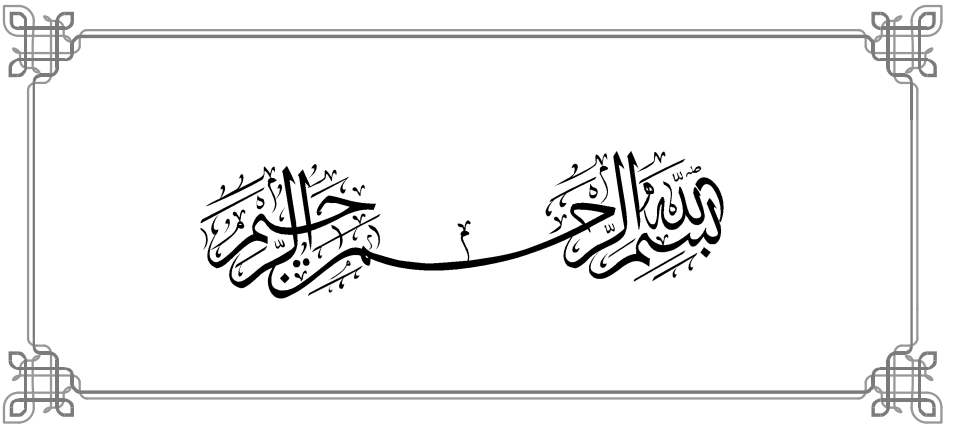
بسم الله الرحمن الرحيم

الإِهْــدَاء

إلىٰ الرحمة المهداة، صاحب الخلق العظيم.

إلىٰ المعلّم الأوّل، صاحب الرسالة العصماء

سيّدي محمّد رسول الله ﷺ

إلىٰ المجاهدين الصادقين المرابطين علىٰ ثغور الإسلام.

إلىٰ شهداء حلب الشهباء.

إلىٰ المخلصين الموقّعين عن ربّ العالمين.

إلىٰ والديّ الكريمين اعترافاً بفضلهما وإقراراً بجهودهما.

إلىٰ مشايخي وأساتذتي: أ.د. أنس طبّارة، د. محمود الزين، الشيخ: عبد المنعم سالم، الشيخ: محمّد أمين مشاعل، أ.د. محمّد اسكندر يلدا.

ملخص البحث

عنوان البحث: **(النحو العربيّ، نشأته، مدارسه، قضاياه، ثماره)**.

تكوّن البحث من مقدّمة وتهميد وأربعة مباحث:

المقدّمة: وتضمّنت أسباب اختيار البحث، وأهميّته، والهدف من البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكلته.

التمهيد: وتضمّن تعريف علم النحو لغة واصطلاحاً، وأهميّة علم النحو والحاجة إليه، واللحن وأسباب ظهوره.

ومباحث أربعة قُسّم كلّ منها إلىٰ مطالب، تناولت نشأة علم النحو، وأوّل من وضعه، والمدارس التي تشكّلت في البلاد الإسلامية فور نشوئه وطريقة كلّ منها في تأسيس هذا العلم وتطوّره، والمراحل التي مرّ بها العلم ليكتمل، ثمّ تناولت أهمّ القضايا الإجماليّة التي تناولها علم النحو، وختمت بالثمار اليانعة من تعلّم هذا العلم علىٰ الفرد والمجتمع العربيّ، حفاظاً علىٰ هويّته ولغته التي هي لغة القرآن الكريم، وختمت ذلك بخاتمة وضّحت فيها أهمّ النتائج والتوصيات.

والله الموفّق.

المقَدّمَة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيّدنا محمّد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فقد كان العربُ الأوائل يستعمِلون لسانَهم العربيّ المبين عن سليقةٍ لم يحتاجوا معها أن يُبيّنوا قواعدَ نظمِه، وسبل تقويمه، وبقي الحال على ذلك إلى أن بعث الله نبيّه محمّداً ﷺ برسالة خالدة عامّة للبشريّة جمعاء عربيّها وعجميّها، إنسها وجنّها، وبعد دخول الناس من شتّى العرقيّات واللغات في دين الله أفواجاً، وخروج الكثير من العرب في الفتوحات الإسلاميّة لكثير من بلاد الشرق والغرب بشتّى لغاتها وألسنتها، اختلط العرب الأقحاح بالأعاجم الذين يصعب عليهم النطق الفصيح صحيحاً سليماً، فمالت الألسنة، وخرجت عن أصول الكلام الذي ورثوه عن أجدادهم وأسلافهم، فتسرَّب اللحن إلى الألسنة.

وحرصاً من المسلمين على الحفاظِ على لسانهم المُبِين الذي اختاره الله ﷻ لساناً للقرآن ووعاءً للرسالة الخاتمة عمِلوا على وضعِ أسس وقواعد ينحوها كلُّ دخيل على اللسان، ويلتزمها أبناء العربيّة.

❖ أسباب اختيار البحث:

١ ـ أهميّة تعلّم قواعد علم النحو لضبط اللسان العربيّ.

٢ ـ معرفة اتّجاهات المدارس النحويّة ودراسة اختلافهم.

٣ ـ بيان الثمار العمليّة العلميّة لثمار علم النحو في الفهم واللسان.

❖ الهدف من البحث:

البحث في أسباب وكيفيّة نشوء علم النحو العربيّ، ودراسة مدارسه المختلفة، وبيان ثماره في فهم الكلام العربيّ وأهمّه كتاب الله تعالىٰ.

❖ الدراسات السابقة:

من خلال بحثي وجدت الكثير من الباحثين الذي تعرّضوا لموضوع نشأة علم النحو إلا إنّهم اختلفوا في تناولهم للموضوع، فمنهم من تطرّق لقضاياه ومنهم لمدارسه ومنهم لثماره وأثره، وقد اطّلعت علىٰ هذه الكتب وأفدت منها، ونسبت إليها، ومن أهمّ هذه الكتب:

❋ النحو العربيّ نشأته تطوّره مدارسه، مؤلّفه: صلاح راوي.

❋ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مؤلّفه: محمّد الطنطاوي.

❋ أخبار النحويّين، مؤلّفه: عبد الواحد بن عمر.

❋ النحو العربيّ وتطوّره، مؤلّفته: جليلي زهيرة.

❋ الدعوة لتجديد علم النحو، مؤلّفته: نادية عبد الغنيّ حمدون.

❁ منهج البحث:

اتّبعت أثناء دراستي لهذا البحث المنهج الوصفيّ التاريخيّ، حيث بدأت بتعريف علم النحو لغة واصطلاحاً؛ لأنّ الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، ثمّ ذكرت أهميّة النحو والحاجة إليه، والأسباب التدريجيّة التي أدّت لظهور اللحن على اللسان العربيّ عبر القرون، ثمّ عرّجت على ذكر مدارسه المختلفة في البلاد العربيّة، وقد قسّمت الخطّة إلى تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

❁ **التمهيد**: مدخل إلى أهميّة علم النحو، وذكرت فيه تعريف علم النحو لغة واصطلاحاً، وأهميّة علم النحو والحاجة إليه، واللحن وأسباب ظهوره.

❁ **المبحث الأوّل: نشأة علم النحو**، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأوّل: أسباب نشوء علم النحو وتطوّره.

المطلب الثاني: وضع علم النحو.

المطلب الثالث: أوّل ما وضع من علم النحو.

❁ **المبحث الثاني: مدارس علم النحو**. وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأوّل: مدرسة البصرة.

المطلب الثاني: مدرسة الكوفة.

المطلب الثالث: مدرسة بغداد.

المطلب الرابع: مدرستا مصر والشام.

المطلب الخامس: مدرسة الأندلس.

❊ **المبحث الثالث: قضايا علم النحو الأساسيّة**. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأوّل: الحذف.

المطلب الثاني: الزيادة.

المطلب الثالث: التضمين.

❊ **المبحث الرابع: ثمار علم النحو**. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأوّل: تقويم اللسان وصونه من الغلط.

المطلب الثاني: فهم كلام الله وسنّة رسوله ﷺ.

المطلب الثالث: المحافظة على العربيّة.

❊ **خاتمة**: بيّنت فيها أهمّ النتائج التي توصّلت إليها.

ثمّ وضعت فهارس تفصيليّة للبحث تيسيراً للمراجعة والاستفادة، وهي كالتالي:

فهرس الآيات القرآنيّة.

فهرس الأحاديث والآثار.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس موضوعات البحث.

وفي الختام: فإني أحمد الله تعالى الذي منّ عليّ بإتمام هذا البحث، فإن أحسنت فمن الله ﷻ وحده، ثمّ دعاء والديّ، وإن غير ذلك فمن نفسي

وتقصيري، وأسأله تعالىٰ أن يجعل ما كتبت خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين إنّه سميع قريب مجيب، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ سيّدنا محمّد ﷺ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

تمّ بفضل الله ومنّه وكرمه الانتهاء من العمل في دولة الكويت:

د. محمَّد زكريّا محمود صاري

١٠/ ربيع الأوّل/ ١٤٢٨هـ

٢٩/ آذار ـ مارس/ ٢٠٠٧م

التمهيـد

مدخل إلى أهميّة علم النحو

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأوّل: تعريف علم النحو لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: أهميّة علم النحو والحاجة إليه.
- المطلب الثالث: اللحن وأسباب ظهوره.

المطلب الأوّل

تعريف علم النحو لغة واصطلاحاً

❊ **النحو لغة**: النون والحاء والواو؛ كلمةٌ تدلُّ على قصد، ولذلك سمِّي نَحْوُ الكلام؛ لأنّه يَقصِد أصول الكلام فيتكلّمُ على حَسَب ما كانت العرب تتكلَّم به[١]، جاء في لسان العرب: ثبت عن أهل يونان فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم أنّهم يسمّون علم الألفاظ والعناية بالبحث عنه نحواً، ويقولون: كان فلان من النحويّين، ولذلك سمّي يوحنا الإسكندرانيّ يحيى النحويّ للذي كان حصل له من المعرفة بلغة اليونانيّين، والنحو إعراب الكلام العربيّ، والنحو: القصد والطريق، يكون ظرفاً ويكون اسماً، نحاه ينحوه وينحاه نحواً وانتحاه، ونحو العربيّة منه إنّما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره: كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكبير، والإضافة، والنسب، وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربيّة بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع أي: نحوت نحواً، كقولك: قصدت قصداً، ثمّ خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم، قال ابن سيده: وله نظائر في قصر ما كان شائعاً في جنسه على أحد أنواعه، وقد استعملته العرب ظرفاً وأصله المصدر[٢]، وأنشد أبو الحسن:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمّد هارون، (٥/٤٠٣)، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٢) الخصائص، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جنّيّ، تحقيق: محمّد علي النجار، (١/٣٤)، الناشر: عالم الكتب، بيروت. ـ لسان العرب، المؤلف: محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،=

ترمـــى الأمـــاعيز بمُجِمَـــراتِ ❁ بأرجُـــــل رُوحٍ مجنَّبـــــات
يحـــدو بهـــا كـــلّ فتـــى هَيّـــات ❁ وهـــنّ نحـــوَ البيـــت عامـــداتِ

قال الجوهريّ: يقال: نحوت نحوك، أي: قصدت قصدك[١].

قال ابن السكّيت: نحا نحوه إذا قصده، ونحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرفه، ومنه سمّي النحويّ؛ لأنّه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب[٢]، وجاء في «تاج العروس»: وبلغنا أنّ أبا الأسود الدؤليّ وضع وجوه العربيّة وقال للنّاس: انحوا نحوه فسمّي: نحواً، وقيل: لقول عليّ رضي الله تعالى عنه بعدما علّم أبا الأسود الاسم والفعل وأبواباً من العربيّة: «انحُ على هذا النحو»[٣].

ويظهر ممّا سبق أنّ الأصل الذي ترجع إليه مادة لفظ (نحو) هو القصد، وأنّ ما سواه تبع له، والله أعلم.

❁ **النحو اصطلاحاً**: ورد في أمّهات الكتب للنحو تعريفات عدّة أذكر أهمّها:

❁ عرّفه ابن عصفور بقوله: النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها[٤].

= (٣٠٩/١٥)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، (٢٥٠٣/٦)، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٠م.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٣٠٩/١٥).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، (٢٢٦/٢٠)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

(٤) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المؤلف: أبو محمّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (٢٦٦/١)، الناشر: دار الفكر العربيّ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م. ـ الاقتراح في أصول النحو وجدله، المؤلف:=

* عرّفه ابن جنّيّ بقوله: هو انتحاء سَمْت كلامِ العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربيّة بأهلها في الفصاحة فينطقَ بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها رُد به إليها(١).

* وعرّفه ابن السرّاج بقوله: النحو إنّما أريد به أن ينحو المتكلّم إذا تعلّمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدّمون فيه من استقراء كلام العرب، حتّىٰ وقفوا منه علىٰ الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة(٢).

* وعرّفه ابن يعيش بقوله: النحو قانون يتوصّل به إلىٰ كلام العرب(٣).

* وعرّفه ابن الناظم بقوله: عبارة عن العلم بأحكام مستنبطة من استقراء كلام العرب، أعني: أحكام الكلم في ذواتها، أو فيما يعرض لها بالتركيب لتأدية أصل المعاني من الكيفيّة والتقديم والتأخير(٤).

ومصطلح علم النحو بهذا المسمّىٰ لم يتصالح عليه العرب الأوائل ونحاتهم

= عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمود فجال، (ص٣٢)، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٨٦م.

(١) الخصائص، ابن جنّيّ، (٣٤/١).

(٢) الأصول في النحو، المؤلف: أبو بكر محمّد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (٣٥/١)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

(٣) شرح المفصل، المؤلف: أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمّد بن علي، المعروف بابن يعيش، قدّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، (٦٦/١)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

(٤) شرح ابن الناظم علىٰ ألفية ابن مالك، المؤلف: بدر الدين محمّد ابن الإمام جمال الدين محمّد بن عبد الله بن مالك، المحقق: محمّد باسل عيون السود، (ص٤)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠٠م.

بهذا الاسم، ولم يَدُرْ هذا المصطلح فيما بينهم في محاوراتهم ومناقشاتهم؛ بل عبّروا عنه بألفاظ أخرىٰ يقصدون بها علم النحو، من أهمّها: العربيّة، والكلام واللحن والإعراب، وممّا ورد عنهم في استعمال هذه الألفاظ معبّرة عن مصطلح علم النحو:

عن أبي مسلم الخولانيّ قال: قال عمر بن الخطاب ﵁: تعلَّموا العربيّة؛ فإنها تُشبِّب العقل[١]، وتزيد في المروءة[٢]، وقال أبو عبيدة معمّر بن المثنىٰ: أخذ أبو الأسود عن عليّ بن أبي طالب ﵁ العربيّة، فكان لا يخرج شيئاً ممّا أخذه عن عليّ بن أبي طالب ﵁ إلىٰ أحد[٣].

وعن عاصم بن أبي النَّجود قال: جاء أبو الأسود الدؤليّ إلىٰ عبيد الله بن زياد يستأذنه في أن يضع العربيّة فأبىٰ، قال: فأتاه قوم، فقال أحدهم: أصلحك الله، مات أبانا وترك بنون، فقال عليّ ﵁ لأبي الأسود: ضع العربيّة[٤]، ويقصدون بالعربيّة النحو بالمصطلح الحاليّ.

وعن عمر ﵁ أنّه قال: «تَعَلَّمُوا اللَّحْنَ وَالْفَرَائِضَ وَالسُّنَّةَ كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ»[٥]، ويقصد باللحن علم النحو.

---

(١) أي: تشعل ذكاء العقل.

(٢) شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ البيهقي، (٣/٢١٠)، رقم: (١٥٥٦)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠٣م. ـ طبقات النحويين واللغويين، المؤلف: أبو بكر محمّد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، المحقق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، (ص١٣)، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف.

(٣) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، الشهير بتاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، (٢٥/١٨٩)، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٨م.

(٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٢٥/١٨٩).

(٥) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمّد=

وقال أبو الأسود الدؤليّ: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، وصاروا لنا إخوة، فلو علّمناهم الكلام! فوضع باب الفاعل والمفعول، لم يزد عليه[١]، ويقصد بالكلام علم النحو.

وقد سارت هذه المصطلحات جميعها جنباً إلىٰ جنب عند علماء القرن الأوّل الذين لم يؤثر عنهم اصطلاح لفظ النحو اسماً للعِلْم، وهذا أمر طبيعيّ؛ لأنّ علم النحو نشأ نشأة فطريّة، فكانت ظواهره الأولىٰ ترصد من قبل العلماء وتخضع لملاحظاتهم شيئاً فشيئاً، حتىٰ قام النحو فناً قبل أن يقوم علماً.

= ابن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المحقق: كمال يوسف الحوت، (٦/٢٤٠)، رقم: (٣١٠٤٤)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ. ـ إيضاح الوقف والابتداء، المؤلف: أبو بكر محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشار الأنباري، المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، (١/١٥)، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ١٩٧١م.

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٢٢).

المطلب الثاني
أهميّة علم النحو والحاجة إليه

يعتبر علم النحو أقوىٰ المرتكزات وأهمّ الدعائم والأسس التي تقوم عليها علوم اللسان العربيّ ؛ من لغة ، وبيان ، وأدب ، ولا بدّ من معرفته لمن أراد التبحّر في أيّ علم من العلوم ، وهو من العلوم السبّاقة للدفاع عن القرآن الكريم والسنّة النبويّة ، وصونهما عن أيّ خطأ أو تحريف أو تبديل في اللفظ أو المعنىٰ ؛ لأنّه يشكّل العامل الأساسيّ في فهم المعنىٰ والوقوف علىٰ دلالة النصوص وفهم مراميها ؛ لأنّ اللغة العربيّة تتعدّد علومها وتتنوّع ، ويحتاج إليها أهل الإسلام حاجة أكيدة ، لعلاقة تلك العلوم بفهم كتاب الله وسنّة رسوله الكريم ﷺ ، كتاب الله الذي نزل به الروح الأمين علىٰ قلب سيّدنا محمّد ﷺ ، ليكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين ، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] ، وقال تعالىٰ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥] ، وقال تعالىٰ: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزُّمَر: ٢٨] ، وقال تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فُصِّلَت: ٣] ، فهذه الآيات توجّه إلىٰ ضرورة معرفة اللسان العربيّ ، وقواعد العرب في لغتهم ، وسننهم في توجيه كلامهم إدراكاً لفهم معاني القرآن الكريم ، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ الكثير من المفسرين والمهتمّين بفهم إعراب القرآن ، قال مكيّ بن أبي طالب القيسيّ في كتابه مشكل إعراب القرآن: فإنّي رأيت أفضل علم صرفت إليه الهمم ، وتعبت فيه الخواطر ، وسارع إليه ذوو

العقول، علم كتاب الله تعالىٰ ذكره، إذ هو الصراط المستقيم، والدين المبين، والحبل المتين، والحق المنير، ورأيت من أعظم ما يجب علىٰ الطالب لعلوم القرآن الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاج معرفة إعرابه والوقوف علىٰ تصرف حركاته وسواكنه، يكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً علىٰ أحكام اللفظ به، مطّلعاً علىٰ المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهّماً لما أراد الله به من عباده، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال، فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب، وتصحّ معرفة حقيقة المراد[١]، وقال السيوطيّ في كتابه الإتقان: وأوّل ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فيتكلّم عليها من جهة اللغة ثمّ التصريف ثمّ الاشتقاق، ثمّ يتكلّم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالإعراب، ثمّ بما يتعلق بالمعاني، ثمّ البيان، ثمّ البديع، ثمّ يبيّن المعنىٰ المراد، ثمّ الاستنباط ثمّ الإشارات[٢].

وأيضاً لعلاقة علم النحو بفهم نصوص أحاديث وسنّة النبيّ محمّد ﷺ أفصح من نطق بالضاد، وأبلغ من قال أنا عربي من العباد، قال شعبة: مثل الذي يتعلّم الحديث، ولا يتعلّم النحو، مثل البرنس الذي لا رأس له[٣]، وقال حمّاد

---

(١) مشكل إعراب القرآن، المؤلف: أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (٦٣/١)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، (٤٨٨/٢)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، (١١٣٣/٢)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٤م. ـ المقنع في علوم الحديث، المؤلف: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، ابن الملقّن، (٣٧٨/١)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، =

بن سلمة: مثل الذي يطلب الحديث، ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخالته، لا شعير فيها[١].

وفصّل أبو القاسم الزجّاجيّ ـ في كتابه «الإيضاح في علل النحو» ـ الكلام عن الهدف من تعلّم النحو والإفادة منه من خلال استيعابه وظيفة هذا العلم استيعاباً كاملاً فقال: الفائدة فيه ـ يقصد علم النحو ـ الوصول إلىٰ التكلّم بكلام العرب علىٰ الحقيقة صواباً غير مبدّل ولا مغيّر، وتقويم كتاب الله ﷻ، الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبيّ ﷺ، وإقامة معانيها علىٰ الحقيقة؛ لا تفهم معانيها علىٰ صحّةٍ إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب، وهذا ممّا لا يدفعه أحد ممّن نظر في أحاديثه ﷺ وكلامه، وقد قال الله تعالىٰ في وصف كتابه: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، وقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾، فوصفه بالاستقامة كما وصفه بالبيان في قوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾، كما وصفه بالعدل في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، وأخبرنا أبو إسحاق الزجّاج، قال: سمعت أبا العبّاس المبرّد يقول: كان بعض السلف يقول: عليكم بالعربيّة فإنّها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله ﷻ وأنبيائه وملائكته[٢].

يقول ابن خلدون في «مقدّمة تاريخه» مبيّناً أهميّة علم النحو: الفصل السادس والأربعون في علوم اللسان العربيّ، أركانه أربعة: وهي اللغة، والنحو،

= الناشر: دار فواز للنشر، السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

(١) المستطرف في كلّ فن مستطرف، المؤلف: أبو الفتح شهاب الدين محمّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي، (ص٣١)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ. ـ المقنع، ابن الملقّن، (١/٣٧٨).

(٢) الإيضاح في علل النحو، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، (ص٩٥)، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

والبيان، والأدب، ومعرفتها ضروريّة على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعيّة كلّها من الكتاب والسنّة وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم، فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلّقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسبما يتبيّن في الكلام عليها فنّاً فنّاً، والذي يتحصّل أنّ الأهمّ المقدّم منها هو النحو؛ إذ به تتبيّن أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة، وكان من حقّ علم اللغة التقدّم؛ لولا أنّ أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغيّر، بخلاف الإعراب الدالّ على الإسناد والمسند والمسند إليه؛ فإنّه تغيّر بالجملة ولم يبق له أثر، فلذلك كان علم النحو أهمّ من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة، والله ﷻ أعلم[1].

فعلم النحو أعلى العلوم مرتبة، وبدونه لا يصحّ الشعر، ولا النثر، ولا تلاوة القرآن؛ لأنّه ميزان هذا كلّه، فهو في علم البيان من المنظوم والمنثور، بمنزلة أبجد في تعليم الخط، وهو أوّل ما ينبغي إتقان معرفته، لكلّ أحد ينطق باللسان العربيّ، ليأمن معرّة اللحن، وهو في علم الحديث بمثابة الرأس من الجسد، ومن هنا يتبيّن أنّ النحو يبيّن صحيح الكلام من فاسده، ومن خلاله نستطيع قراءة القرآن الكريم والسنّة النبوية قراءة صحيحة سليمة، ونستخرج أحكامهما وتعاليمهما، ومن دون النحو تفسد اللغة وتنغلّق الأفهام، فلا عجب أن يحتلّ هذا العلم مرتبة عالية ومكانة مرموقة بين علوم اللسان العربيّ.

(١) مقدّمة ابن خلدون، المؤلف: ولي الدين عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون، المحقق: عبد الله محمّد الدرويش، (٣٦٧/٢)، الناشر: دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

المطلب الثالث
اللحن وأسباب ظهوره

اللحن في اللغة: مصدر للفعل الثلاثي لحن، اللام والحاء والنون، له بناءان يدلُّ أحدهما على إمالةِ شيءٍ من جهته، ويدلُّ الآخَر على الفطنة والذَّكاء، فأمَّا اللَّحْن بسكون الحاء فإمالة الكلامِ عن جهته الصحيحة في العربيّة، والخطأ في الحركات الإعرابيّة للكلمات حين النطق بها، يقال: لَحَن يلحَنُ لحْنَاً، إذا مال عن صحيح المنطق، وبابه قطع، وأمّا اللحَن بفتح الحاء، الفطنة والذكاء، يقال: لَحِنَ يَلْحَنُ لَحْناً، وهو لحن ولاحن، وبابه طرب[١]، والمقصود في البحث اللحْن بسكون الحاء، أي: الخطأ في حركات الإعراب عند الكلام أو الكتابة، وهو السبب المباشر والجوهريّ في نشأة علم النحو، قال ابن منظور في لسان العرب: اللحن ضد الإعراب، وهو يستملح في الكلام إذا قلّ، وكأنّ اللحن في العربيّة راجع إلى هذا لأنّه من العدول عن الصواب[٢].

تكلّم العرب اللغة ونطقوا بها سليمة صحيحة على سجيّتهم، ولم يتسرّب اللحن إلى لغتهم إلا عن طريق الموالي، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: اللَّحن مُحْدَث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلَّموا بطباعهم السَّليمة[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/٢٣٩). ـ تهذيب اللغة، المؤلف: أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري، (٥/٤٠)، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م. ـ الصحاح، الجوهري، (٧/٤٣).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (١٣/٣٧٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/٢٣٩).

ولخطورة اللحن وأثره السلبيّ على لغة القرآن وفهم أحاديث النبيّ ﷺ استخفّه العرب وذمّوه بالإضافة إلى ذمّ اللاحنين، ومنه: أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، مرّ بقوم قد رموا رشقاً فأخطأوا، فقال: ما أسوأ رميكم؟، قالوا: نحن متعلّمين، قال: لحنكم أشدّ من سوء رميكم[١]، وفي رواية: وَاللهِ لَذَنْبُكُمْ فِي لَحْنِكُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ لَحْنِكُمْ فِي رَمْيِكُمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: رَحِمَ اللهُ رَجُلًا أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ[٢].

وقال عبد الملك بن مروان: اللحن هجنة على الشريف، والعجب آفة الرأي، واللحن في المنطق أقبح من آثار الجدريّ في الوجه[٣]، وذكر الجاحظ في «البيان والتبيين» كلاماً كثيراً عن ذمّ اللحن واللاحنين، ومنه قوله: ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في ميراث، فقال: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله، فقال زياد: الذي أضعت من لسانك أضرّ عليك مما أضعت من مالك[٤]، وغيره كثير، من ذمّ من يلحن في الكلام العربيّ المبين.

ويذكر الزبيديّ في كتابه «طبقات النحويّين اللغويّين» أهمّ أسباب ظهور اللحن بقوله: ولم تزل العرب تنطق على سجيَّتها في صدر إسلامها وماضي

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، (١٠/٢٥١)، رقم: (٢٩٣٤٤)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م. ـ إيضاح الوقف، الأنباري، (١/٥٠).

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، (٣/٢١٠)، رقم: (١٥٥٧). ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: محمود الطحان، (٢/٢٤)، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

(٣) البيان والتبيين، المؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، (ص٣٢١)، الناشر: دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

(٤) البيان والتبيين، الجاحظ، (ص٣٢٤).

جاهليّتها؛ حتّىٰ أظهر الله الإسلام علىٰ سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجاً، وأقبلوا إليه أرسالاً، واجتمعت فيه الألسنة المتفرّقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة والعربيّة، واستبان منه في الإعراب الذي هو حَلْيها، والموضِّح لمعانيها؛ فتفطَّن لذلك مَن نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارَف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فُشُوِّ ذلك وغلَبته؛ حتّىٰ دعاهم الحذرُ من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلىٰ أن سبَّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه، فكان أوّل مَن أصَّل ذلك وأعمل فكره فيه، أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤليُّ، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هُرْمز، فوضعوا للنحو أبواباً، وأصَّلوا له أصولًا؛ فذكروا عوامل الرَّفْع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل[1].

ويذكر ابن خلدون في «مقدّمته» أسباب ظهور اللحن فيقول: اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها علىٰ كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعيّن الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلىٰ الذوات من غير تكلّف ألفاظ أخرىٰ، وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب، وأمّا غيرها من اللغات فكلّ معنىٰ أو حال لا بدّ له من ألفاظ تخصّه بالدلالة، ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول ممّا تقدّره بكلام العرب، وهذا هو معنىٰ قوله ﷺ: إِنِّي قَدْ

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص١١).

أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِي الْكَلَامُ اخْتِصَارًا[١]، فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات أي: الأوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود، غير متكلّفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها، إنّما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأوّل كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا، فلمّا جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول وخالطوا العجم تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين من العجم، والسمع أبو الملكات اللسانيّة ففسدت بما ألقي إليها ممّا يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل الحلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطرّدة شبه الكلّيات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه منها بالأشباه، مثل: أنّ الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثمّ رأوا تغيّر الدلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغيّر عاملاً، وأمثال ذلك، وصارت كلّها اصطلاحات خاصّة بهم، فقيدوها بالكتاب، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو[٢].

---

(١) المقصد العليّ في زوائد أبي يعلى الموصلي، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، (٥٨/١)، رقم: (٥٩)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٢٥٢/١٣)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ. ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، المؤلف: أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري الكناني، (١٨٩/١)، رقم: (٢٣٩)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) مقدّمة ابن خلدون، (٣٦٧/٢).

وهكذا فإنّ اللحن الذي أصاب العامّة والخاصّة من الناس، كان نتيجة لتأثّر العرب بالأعاجم الذين يثقل عليهم إخراج الحرف بوضوح أصواتها في العربيّة علماً بأنّ هؤلاء العرب كانوا قد ورثوا عربيّتهم معرّبة، لكنّهم أدركوا أنّهم لولا اختلاطهم بالأعاجم لما لحنوا في النطق، ولا شذّوا في التعبير[١].

(١) النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، المؤلف: أحمد جميل الشامي، (ص٢٤)، الناشر: دار الحضارة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

المبحث الأوّل

نشـأة علم النحـو

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأوّل: أسباب نشوء علم النحو وتطوّره.
- المطلب الثاني: وضع علم النحو.
- المطلب الثالث: أوّل ما وضع من علم النحو.

المطلب الأوّل
أسباب نشوء علم النحو وتطوّره

ذكرت فيما سبق أنّ اللحن تطرّق إلىٰ الألسن العربيّة جرّاء اختلاط العرب بالأعاجم، سواء الذين دخلوا ديار العرب، أو الذين رحل العرب إلىٰ بلدانهم، ويعتبر العلماء أنّ ظهور اللحن علىٰ ألسنة الناس كان السبب الأوّل لوضع علم النحو، وخاصّة بعد انتشاره في الأوساط العربيّة والأرض العربيّة، ولعلّ أهمّ البواعث التي ساعدت علىٰ وضع هذا العلم وتطوّره هو الباعث الدينيّ للحفاظ علىٰ فهم الكتاب والسنّة النبويّة، ولا شكّ أنّ الارتباط بين القرآن الكريم ونشأة علم النحو وثيق للغاية، إذ إنّ القرآن الكريم له التأثير الأقوىٰ في نشأة هذا العلم وتطوّره وازدهاره علىٰ مدىٰ الأيّام، بالإضافة إلىٰ عوامل اجتماعيّة أخرىٰ ساهمت في نموّه وبلوغه المستوىٰ الراقي الذي انتهىٰ إليه[1].

وانطلاقاً من الأهميّة العظيمة لكتاب الله ﷻ، فلا غرابة ولا عجب أنْ يحرص العلماء المسلمون كلّ الحرص علىٰ الاهتمام به وحمايته من كلّ شائبة تفسد معانيه، وتخلّ بقراءة آياته البيّنات، فهم يرونه كلّ شريعتهم وعمدة ملّتهم، وينبوع حكمتهم، وآية رسالتهم، ونور أبصارهم وبصائرهم، وأنّه لا طريق إلىٰ الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسّك بشيء يخالفه، فلا استهجان علىٰ الإطلاق

(١) المدارس النحويّة، المؤلف: شوقي ضيف، (ص١١)، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م. ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٤). ـ النحو العربيّ وتطوره في القرنين الأول والثاني هجريين، المؤلف: جليلي زهيرة، (ص١١)، كلّية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجمهورية الجزائرية.

أنْ يهبّوا لحمايته وحفظه، وفهمه والعمل به، إذ إنّ سائر العلوم التي عرفوها أو ابتكروا فيها واجتهدوا فيها موجّهة لخدمة القرآن والإلمام بطرف من أطراف أسراره ومعانيه، بالإضافة إلىٰ ذلك كان إكبابهم علىٰ دراسته وإعرابه يهدف إلىٰ أسمىٰ الغايات وأنبلها؛ وهي عبادة الله تعالىٰ وخشيته، وتعمير الأرض، وتمكين كلمة الخالق لتكون هي العليا، وما دام القرآن الكريم في نظر المسلمين علىٰ هذا الجانب الكبير من العظمة والأهميّة، والغزارة بالفضائل، والفيض بالفوائد وبعد المقاصد، فهل من تساؤل أن يتصدّىٰ المسلمون لدرء أيّ خطر يهدّد قرآنهم؟، وهل من شيء أخطر من اللحن علىٰ قراءة كتاب الله وفهم معانيه[١].

وعلم النحو كأيّ علم من العلوم مرّ بمراحل وأطوار قبل بلوغه حدّ الاكتمال، كما يمرّ الإنسان بأطوار ومراحل ينشأ خلالها ويتدرّج لينضج عقله ويتطوّر تفكيره، وتتوسّع أفق معارفه ومداركه، كذلك نشأ علم النحو في بدايته الأولىٰ صغيراً، ثمّ نما وترعرع وتطوّر وازدهر عبر الزمان، وذلك بإضافة ما استدركه اللاحقون إلىٰ ما وضعه السابقون، ومن ثَمّ دُوّن وصُنّف شيئاً فشيئاً في كتب وتصانيف النحاة[٢].

فعلم النحو لم ينشأ أوّل أمره ناضجاً مفرّع الأصول مقعّد القواعد في مرحلة واحدة، وإنّما نشأ فكرة عامّة قامت بادئ الأمر علىٰ استنكار اللحن واستهجان الخطأ وردّه إلىٰ الصواب دون تفسير أو شرح أو تعليل، وسرعان ما اتّضحت هذه الفكرة في الأذهان[٣].

---

(١) النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٦).

(٢) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، المؤلف: محمّد الطنطاوي، (ص٣٤)، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

(٣) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٣٥). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص٦٩).

وقد مرّ علم النحو بأربعة أطوار ومراحل:

* مرحلة طور الوضع والتكوين والتأسيس.
* وطور النشوء والنمو.
* وطور النضج والكمال.
* وطور البسط والترجيح.

على أنّه لا يمكن وضع حدّ توقيتيّ لفصل الأطوار الأربعة عن بعضها؛ لأنّها تتداخل، كما أنّه لا مناص من تسرّب سابقها على لاحقها، فغير ممكن أن يوجد الطور دفعة واحدة، وإنّما توجده المؤثّرات التي تسبقه وتمهّد له.

❖ طور الوضع والتكوين والتأسيس.

بدأ هذا الطور في النصف الأوّل من القرن الهجريّ الأوّل، من عصر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي الأسود الدؤليّ، إلى أوّل عصر الخليل بن أحمد الفراهيديّ، واستأثرت البصرة صاحبة الفضل بهذا الطور في وضع علم النحو وتعهدّه في نشأته، في حين كانت الكوفة منشغلة برواية الأشعار والأخبار والنوادر والملح، وقيل: لانشغالهم بالقراءات وروايتها رواية صحيحة، وبالفقه ووضع أصوله وقواعده، ما جعلهم يحظون بمذهب فقهيّ هو مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان[1].

اشتغل في هذه المرحلة طبقتان من البصريين، الطبقة الأولى: أخذت تثمير ما نقلوه عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي الأسود الدؤليّ، وكان أبو الأسود

(١) الوسيط في النحو العربيّ، المؤلف: عبد الكريم محمّد الأسعد، (ص٣٤)، الناشر: دار الشواف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م. ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص١٥٣).

وعبد الرحمن بن هرمز شيوخ هذه المرحلة، ثمّ ظهرت الطبقة الثانية متمثّلة بتلاميذ أبي الأسود؛ كنصر بن عاصم، ويحيىٰ بن يعمر، وعنبسة بن معدان، وميمون الأقرن، وغيرهم، فنشط علماؤها، واستمرّوا في تثمير ما نقلوه عن شيوخهم، ووفّقت هذه الطبقة إلىٰ استنباط الكثير من أحكام النحو، وعجّلت علىٰ نشر هذا العلم وإذاعته بين الناس، وقامت هذه الطبقة بتطوير إعجام حروف اللغة العربيّة بالنقط لدفع التصحيف، وتمييزاً لتلك الحروف من الحروف المهملة، بعد أن كان إعجام الحروف بالشكل من قبل أبي الأسود الدؤليّ الذي كان يسمّىٰ نقط الإعراب، فعملوا علىٰ نقط الإعجام(١).

وما كوّن في هذه المرحلة كان يسيراً أشبه بالرواية للمسموع المنقول عن السابقين، ولم تنبت بينهم فكرة الشرح والتعليل والقياس علىٰ كلام العرب، إلا بعد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ، حتّىٰ قيل عنه: أعلم أهل البصرة وأعقلهم، فرّع النحو وقاسه، وتكلّم في الهمز(٢)، وكذلك لم تظهر الخلافات فيما بينهم لقلّة الأخطاء لشدّة قربهم من عصر السلامة اللغويّة عصر السليقة، ولم تقوَ التصانيف في طبقتهم إلا بعضاً يسيراً في مواطن متفرّقة لم تبلغ حدّ الكتب المصنّفة، إلا ما نُقل من أن أبا الأسود الدؤليّ وضع مختصراً في علم النحو(٣).

وهكذا كانت مدارسة النحو من عصر عليّ بن أبي طالب وأبي الأسود

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٢٣). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص٧٢).

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المؤلف: الدكتور جواد علي، (٥٧/١٧)، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠١م. ـ الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، (٧١/٤)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

(٣) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٣٨). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص٧٢).

الدؤليّ، وما تلاه إلىٰ الوقت الذي ظهر فيه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ آراء وإجابات غير معلّلة أو مقيسة علىٰ الشائع المستعمل في كلام العرب، وبظهور هذا العالم تطوّر علم النحو وازدادت مسائله ومباحثه، وأضيفت عدد من القواعد، ولم ينقضّ هذا الطور حتىٰ وفّق العلماء إلىٰ وضع طائفة من أصوله بعثتهم إلىٰ التزيّد فيه، وسرعان ما لبثت هذه العلوم تتفرّع، وراح يستقلّ بعضها عن بعض ابتداء من أوائل المرحلة الثانية.

والجدير بالذكر أنّ علماء هذا الطور كانوا يركزون في أبحاثهم علىٰ النواحي الإعرابيّة المتمثّلة بحركات أواخر الكلمات، وقلّما تناولت النواحي الصرفيّة المتعلّقة ببنية الكلمة.

❊ طور النشوء والنموّ.

بدأ هذا الطور من عهد الخليل بن أحمد الفراهيديّ وأبي جعفر محمّد بن الحسن الرؤاسيّ الكوفيّ، إلىٰ أوّل عصر أبي عثمان بكر بن محمّد المازنيّ البصريّ، وأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت الكوفيّ، ويعتبر هذا الطور مبدأ الاشتراك بين البلدين الكوفة والبصرة في النهوض بهذا الفنّ، والمنافسة في الظفر بشرفه، فوثب هذا الفنّ وثبة حيِيَ بها حياة قويّة، وكان حريّاً أن يسمّىٰ طور النشوء والنموّ، وإذا كان العلماء في الطور الأوّل يركّزون علىٰ النواحي الإعرابيّة المتمثّلة بحركات أواخر الكلمات، ولم يتناولوا النواحي الصرفيّة المتعلّقة ببنية الكلمة، فإنّ علماء هذا الطور تناولوا مسائل صرفيّة تراعي حال بنية الكلمات، إذ هالهم ما سمعوا من أخطاء دفعتهم إلىٰ تصويبها، وبذلك اتّجه العلماء إلىٰ تناول المباحث الصرفيّة إلىٰ جانب المباحث الإعرابيّة، والخليل بن أحمد الفراهيديّ وهو غرّة هذا الطور قد جمع في كتابه «العين» بين اللغة والنحو

والصرف، ويعتبر كتابه الأساس لكتب العربيّة، وأصبح علم النحو يضمّ هذين العلمين، واستمر هذا الاندماج زمناً طويلاً حتّىٰ تمّ تداوله في بعض كتب المتأخّرين(١).

تكّون علىٰ يد الإمامين: الخليل ومن معه من البصريّين، والرؤاسيّ ومن معه من الكوفيّين، بكلّ من البلدين مدرسة خاصّة لها عالم تنحاز إليه كلّ فرقة، وتتابعت الطبقات المتعاصرة من كلا المدرستين في البلدين، وظهر العلماء في كلا البلدين، فسطع سيبويه في البصرة، يقابله الكسائيّ في الكوفة، وتوالىٰ العلماء من المدرستين، يقول محمّد الطنطاوي: وخلاصة القول، أنّه لم ينصرم هذا الطور حتىٰ قطع النحو شوطاً كبيراً شارف فيه النهاية، فأرهفت له الأسماع، وكثرت فيه المؤلّفات التي أزيل منها ما ليس من فنّ النحو(٢).

❖ طور النضج والكمال.

بدأ هذا الطور من عصر أبي عثمان بكر بن محمّد المازنيّ البصريّ، وأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت الكوفيّ، إلىٰ آخر عصر المبرّد البصريّ، وثعلب الكوفيّ، وقد بلغ النحو مستوىٰ عالياً من النضج نظراً للتنافس الشديد بين البصريّين والكوفيّين، وقد هيّأ الطور السالف بفضل ما بذله رجاله من جهود مضنية لهذا الطور في تخريج جمهرة كبيرة من العلماء امتاز بها عن سابقيه في كلا البلدين، وشمّر الجميع عن ساعد الجدّ، ونزلوا ميدان المنافسة تقودهم عصبيّة البلد وبعضاً من التقرّب إلىٰ سدّة الخليفة، فكان في البصرة: أبو عثمان المازنيّ، وأبو عمر الجرميّ، وأبو محمّد التوزيّ، وأبو عليّ الجرمازيّ، وأبو حاتم

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٤١). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص٧٩).
(٢) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٤٥).

السجستانيّ، والرياشيّ، والمبرّد، وغيرهم كثير، وكان في الكوفة: يعقوب بن السكّيت، ومحمّد بن سعدان، وثعلب، والطوّال، وغيرهم كثير، وكثيراً ما تجمع بغداد الفريقين على تعصّب كلٍّ لمذهبه، وكانت بينهما المناظرات الكثيرة المتعدّدة التي تقضّ المضاجع وتحزّ النفوس، حتّى تلاقيا مؤخراً في بغداد على مضض أذهبه تعاقب الأيّام، ولم ينسلخ هذا الطور حتى فاضت دراساته ومؤلّفاته في المدن الثلاث البصرة والكوفة وبغداد، واغترف الجميع من منهله، وبذلوا الجهود في استكماله والإحاطة بجميع قواعده، فاستوى علم النحو قائماً على أصوله، وانتهى الاجتهاد فيه بين فريقين، المبرّد من البصريّين، وثعلب من الكوفيّين[1]، يقول محمّد بن عبد الواحد: سألت أبا بكر بن السرّاج فقلت: أيّ الرجلين، أعلم أثعلب أم المبرّد؟، فقال: ما أقول في رجلين العالم بينهما، قال: ولمّا مات المبرّد وقف رجل على ثعلب فقال:

بيت من الآداب أصبح نصفه ❦ خرباً وسائر نصفه فسيخرب
مات المبرّد وانقضت أيّامه ❦ ومع المبرّد سوف يذهب ثعلب
وأرى لكم أن تكتبوا ألفاظه ❦ إذ كانت الألفاظ ممّا يكتب[2].

ونظراً لتلاقي أتباع المدرستين في مدينة بغداد، وكثرة المناقشات والحوارات بينهما، ظهرت طائفة من العلماء تخلط بين النزعتين، وتزاول المذهبين البصريّ والكوفيّ، وتنظر فيهما نظرة حياديّة، فوجدت رجحان الأوّل على الآخر في بعض المسائل، ورجحان الآخر على الأوّل في مسائل أخرى،

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٤٧). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٢١).

(٢) تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، المعروف بتاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المحقق: بشار عواد معروف، (٤٥٣/٦)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

وكان عمل هذه الطائفة التنبيه إلىٰ استقراء ما صحّ من القوانين النحويّة دون تحيّز إلىٰ فريق دون آخر، فجرّ هذا إلىٰ الخلط بين المذهبين؛ لاستخلاص مذهب بينهما، يكون مرضياً عنه عندهم، ولقد اتّسعت هذه الحركة ونمت حتّىٰ احتلّت مكاناً مرموقاً بين المذهبين، وكان مقرّ المذهب في بغداد، وعرف بالمذهب البغداديّ، ومهّد للطور الرابع[١].

❊ طور البسط والترجيح.

هذا الطور ظهر في بغداد، وكان ملفّقاً من المذهبين مع بعض قواعد ابتكروها، ونزع بعض علماء هذا الطور لترجيح مذهب الكوفيّين، ومنهم ابن كيسان، وابن شقير، والخيّاط، ونزع بعضهم لترجيح مذهب البصريّين، ومنهم الزجّاجيّ، والفارسيّ، وابن جنّيّ، بيد أنّه لا يعزب عن الذهن أنّ مسائل المذهب الكوفيّ المختارة في بداية تكوين المذهب الجديد كانت أكثر من المذهب البصريّ؛ لأنّ الكوفيّين غلبوا علىٰ أمرهم فكان النفوذ في بغداد لهم، ولم يلبث هذا الشأن إلىٰ أن تغيّر بعد حين، فغلب ترجيح مسائل المذهب البصريّ، إلا إنّ السمة العامّة لهذا المذهب هي مزج النحوين البصريّ والكوفيّ، وكان علىٰ رأس المدرسة البغداديّة، وأوّل أئمّتها محمّد بن أحمد بن كيسان الذي حفظ المذهبين؛ لأنّه أخذ عن المبرّد البصريّ، وثعلب الكوفيّ، ثمّ أصبح أنحىٰ منهما، فوضع تصانيف أظهرت براعته، منها المهذّب في النحو، واللامات، والبرهان، وعلل النحو، وما اختلف فيه البصريّون والكوفيّون[٢].

وقد شهدت هذه المرحلة ازدهاراً كبيراً في علم النحو؛ بسطاً وشرحاً وترجيحاً

---

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١٨٤). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٤٠).

(٢) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص١٥٢). ـ المدارس النحويّة، شوقي صيف، (ص١٤٨).

وتعليلاً، وظهرت مدارس عدّة أكثر علماؤها من الاجتهادات والتعليلات، وسيأتي في مبحث المدارس النحويّة ذكر تفصيل علماء هذه المدراس، إن شاء الله تعالىٰ.

المطلب الثاني
وضع علم النحو

يقول الدكتور صلاح راوي: اختلف العلماء حيال وضع علم النحو في ثلاثة أمور كلّها جديرة بالاعتبار والنظر، وهي: متىٰ وضع علم النحو؟، وهل كان وضعه عربيّاً محضاً، أو متأثّراً بغيره؟، ومن واضعه الأوّل؟[١].

نشأت اللغة العربيّة في أحضان شبه الجزيرة العربيّة سليمة نقيّة من شوائب الاختلاط، خالصة لأبنائها، وبقيت كذلك دهراً من الزمان، ولم توجد قبل الإسلام أسباب جوهريّة تقتضي وضع علم لضبط هذه اللغة؛ لأنّ العرب كانت تتكلّم بها صحيحة سليمة بالسليقة التي جبلوا عليها، فكانوا يتكلّمون في كلّ ما يحتاجون إليه من شؤون حياتهم دون الحاجة إلىٰ وضع قانون يضبط كلامهم من الأخطاء، بخلافهم بعد الإسلام، وبعد تآخي الناس تحت مظلّة الإسلام، وقد محىٰ بينهم فوارق الجنس والوطن والعصبيّة، دينهم الإسلام، وكتابهم القرآن، ولغتهم العربيّة، واختلط العرب بالأعاجم من الروم والفرس والنبط وغيرهم، اختلاطاً مستمراً في البيوت والأسواق والمناسك والمساجد، وتصاهروا واندمج بعضهم مع بعض، وكان من الصعب علىٰ غير العربيّ ضبط اللغة صحيحة مهما عالج وعانىٰ، فحلّ باللغة ما هال الغيرة عليها، فهرعوا إلىٰ وضع قواعد تضبط الكلام وفق سليقة العرب وأسلوب تعبيرهم، فكان منشأ علم النحو في العراق علىٰ حدود البادية ملتقىٰ العرب وغيرهم، وكان أظهر مكان ظهر فيه داء اللحن

(١) النحو العربيّ نشأته تطوره مدارسه رجاله، المؤلف: صلاح راوي، (ص٢٥)، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

الداعي لوضع قواعد علم النحو، نقل السيوطيّ وغيره عن أبي الطيّب صاحب كتاب «مراتب النحويّين» قوله: واعلم أنَّ أوّل ما اختلّ من كلام العرب وأحوج إلىٰ التعلّم الإعرابُ؛ لأنّ اللَّحْنَ ظَهر في كلام الموالي والمتعرّبين[١].

فوضع علم النحو وضع عربيّ محض لم تمتدّ إليه يد الأعاجم قط، نشأ في العراق في صدر الإسلام نشأة عربيّة علىٰ مقتضىٰ الفطرة للأسباب التي دعت إلىٰ وضعه، ثمّ تدرّج به التطور تمشّياً مع سنّة التطوّر حتّىٰ كملت أبوابه، غير مقيس علىٰ لغة أخرىٰ لا في نشأته ولا في تطوّره[٢]، بدأ وضعه في النصف الأوّل من القرن الهجريّ الأوّل، من عصر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي الأسود الدؤليّ، الذي بدأ بوضع أساسيّات هذا العلم كما مرّ في المطلب السابق في الأطوار الأربعة.

قال ابن سلام في كتابه «طبقات فحول الشعراء»: وكان أوّل من أسّس العربيّة، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها؛ أبو الأسود الدؤليّ، وإنّما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب، فغلبت السليقة ولم تكن نحويّة، فكان سراة الناس يلحنون[٣].

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المؤلف: أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (٣٤١/٢)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٨م. ـ البلغة إلىٰ أصول اللغة، المؤلف: أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، المحقق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، (ص١٤٨)، جامعة تكريت، العراق.

(٢) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢١). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص٢٥). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٣١).

(٣) طبقات فحول الشعراء، المؤلف: محمّد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمّد شاكر، (١٢/١)، الناشر: دار المدني، جدة.

قال ابن حجر في «الإصابة»: قال المبرّد: أوّل من وضع العربيّة ونقط المصاحف أبو الأسود، وقد سئل أبو الأسود عمّن نهج له الطريق، فقال: تلقّيته عن عليّ بن أبي طالب[١].

قال الزبيديّ في كتابه «طبقات النحويّين واللغويّين»: فكان أوّلَ مَن أصَّل ذلك وأعمل فكره فيه، أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤليُّ، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هُرْمز، فوضعوا للنحو أبواباً، وأصَّلوا له أصولًا؛ فذكروا عوامل الرَّفْع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجّب والمضاف، وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدّم[٢]، وقال في موضع آخر: قال يزيد بن عبد الأكبر الأزديّ قال: أوَّلُ مَن وضع العربيّة ونقط المصاحف أبو الأسود ظالم بن عمرو، وقال أبو العبّاس محمّد بن يزيد: سئل أبو الأسود الدؤليّ عمّن فتح له الطريق إلىٰ الوضع في النحو وأرشده إليه، فقال: تلقّيتُه من عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وفي حديث آخر قال: ألقىٰ إليَّ عليٌّ أصولًا احتذيتُ عليها، وعن عاصم بن أبي النَّجود قال: أوّلُ مَن وضع العربيّة أبو الأسود الدؤليّ، جاء إلىٰ زياد ابن أبيه بالبصرة، فقال: إنّي أرىٰ العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيّرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلامًا يقيّمون به كلامهم؟، قال: لا، فجاء رجل إلىٰ زياد، فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد بن أبيه متعجباً: تُوفي أبانا وترك بنون!!!؟؟، ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي كنتُ نهيتُك أن تضع لهم، وقال أبو الأسود:

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض، (٤٥٦/٣)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

(٢) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص١١).

إني أجد للّحن غَمَرًا كغَمَر اللحم[١].

قال شوقي ضيف في كتابه «المدارس النحويّة»: وقد تتّفق الروايات في الواضع الأوّل للنحو عند أبي الأسود الدؤليّ، إلا إنّها تضطرب في السبب الذي جعله يرسمه، والأبواب الأولىٰ التي رسمها[٢].

قال الشيخ محمّد الطنطاوي: فالذي نخاله قريباً إلىٰ الواقع ويرتضيه النظر أنّ أبا الأسود هو واضع هذا الفنّ، ونسبة الوضع للفنّ إنّما تعتبر نتيجة لقيام الواضع ببعض الأبواب الأساسية في ذلك الفنّ، وهذا ما كان من أبي الأسود[٣].

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٢١و٢٢). ـ وذكرها ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة، (٤٥٦/٣).

(٢) المدارس النحويّة، شوقي صيف، (ص١٤).

(٣) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢٥).

المطلب الثالث
أوّل ما وضع من علم النحو

اختلف العلماء في أوّل ما وضع من علم النحو على رأيين مختلفين، فذهب فريق منهم إلى إنّ أوّل ما وضع من علم النحو هو ما ظهر فيه اللحن والخطأ في الإعراب، فعندما سمع عليّ بن أبي طالب ﷺ رجلاً يقرأ قوله تعالى من سورة الحاقة: ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٧]، فقرأها لا يأكله إلا الخاطئين بالنصب بالياء، أدرك عليّ ﷺ وقوع الرجل باللحن، فوجّه أبا الأسود لوضع قواعد النحو، وعلى هذا القول يكون الباب الأوّل الموضوع هو باب الاستثناء[١]، ثمّ استمرّ الوضع فيما بعده على هذا النمط، وذلك ما ذهب إليه جمهور النحاة اعتداداً بالروايات المستفيضة التي اقترن فيها الوضع باللحن، إلا أنّ تعيين الباب الموضوع أوّلاً منوط بالرواية التي قوي سندها من بين الروايات، بينما ذهب الفريق الآخر إلى إنّ أوّل ما وضع هو ما كثر جريانه على اللسان؛ لأنّ هذا الوضع مبنيّ على أساس من التفكير في استخراج القواعد من الكلام، ولذا قيل: إن الموضوع أوّلاً الفاعل، ثمّ ردفه المفعول، ثمّ المبتدأ والخبر وهكذا. وما تقدّم هو ما أطبق عليه علماؤنا خلفاً بعد سلف[٢]، وقد وردت روايات متعدّدة عن أوّل ما وضع من علم النحو أذكر منها:

قال الزبيديّ في كتابه «طبقات النحويّين واللغويّين»: رُوي أنّ الذي أوجب

(١) النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص٦٤و٦٥).
(٢) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢١). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص٦٤). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٣٤).

عليه ـ أي على أبي الأسود ـ الوضعَ في النحو ابنته، قعدت معه في يوم قائظٍ شديد الحرِّ، فأرادت التعجب من شدّة الحر فقالت: (ما أشدُّ الحرِّ)!، فقال أبوها: القيظ، وهو ما نحن فيه يا بنيّة، جواباً عن كلامها؛ لأنّه استفهام، فتحيَّرت وظهر لها خطؤها، فعلم أبو الأسود أنّها أرادت التعجّب، فقال لها: قولي يا بنيّة: ما أشدَّ الحرَّ!، فعمل باب التعجّب، وباب الفاعل، والمفعول به، وذكر الزبيديّ أيضاً: كان بدء ما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو أنّه مرّ به سعد، وكان رجلاً فارسيًّا قدم البصرة مع أهله، وهو يقود فرسه فقال: مالك يا سعد ألا تركب؟، فقال: فرسي ضالع، فضحك من حضره، فقال أبو الأسود: هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، وصاروا لنا إخوة، فلو علّمناهم الكلام، فوضع باب الفاعل والمفعول، لم يزد عليه[١].

قال فخر الدين الرازيّ في كتابه «المحرّر الوجيز في النحو»: رسم عليّ بن أبي طالب ﷺ لأبي الأسود باب إنّ، وباب الإضافة، وباب الإمالة، ثمّ صنّف أبو الأسود باب العطف، وباب النعت، ثمّ صنف باب التعجّب، وباب الاستفهام[٢].

وقال ابن سلام في كتابه «طبقات فحول الشعراء»: وكان أوّل من أسّس العربيّة، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها؛ أبو الأسود الدؤلي، وإنّما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب، فغلبت السليقة ولم تكن نحويّة، فكان سراة الناس يلحنون، فوضع باب الفاعل، والمفعول به، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم[٣].

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٢١).

(٢) المحرر الوجيز في النحو، المؤلف: فخر الدين الرازي، (ص١٠٠)، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، مصر، القاهرة.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، (١٢/١).

وقال الزبيديّ في معرض حديثه عن أوّل ما وضع: فوضعوا للنحو أبواباً، وأصَّلوا له أصولاً؛ فذكروا عوامل الرَّفْع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجّب والمضاف[١].

وسبق كلام الدكتور شوقي ضيف عن أوّل ما وضع من علم النحو حيث قال: وقد تتّفق الروايات في الواضع الأوّل للنحو عند أبي الأسود الدؤلي، إلا إنّها تضطرب في السبب الذي جعله يرسمه، والأبواب الأولىٰ التي رسمها[٢].

ومما ذكر يتبيّن أنّ تعيين الباب الموضوع أوّلاً في علم النحو علىٰ كلا القولين فيه روايات كثيرة متعدّدة، وهو منوط بالرواية القويّة الثابتة بين الروايات الواردة.

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص١١).
(٢) المدارس النحويّة، شوقي صيف، (ص١٤).

المبحث الثاني

مدارس علم النحو

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأوّل: مدرسة البصرة.
- المطلب الثاني: مدرسة الكوفة.
- المطلب الثالث: مدرسة بغداد.
- المطلب الرابع: مدرستا مصر والشام.
- المطلب الخامس: مدرسة الأندلس.

المطلب الأوّل

مدرسة البصرة

في البصرة تمّ وضع علم النحو على يد أبي الأسود الدؤليّ، بإرشاد وتوجيه من خليفة المسلمين عليّ بن أبي طالب ﷺ، ثمّ حمل لواءه من بعده تلاميذه عبد الرحمن بن هرمز، وميمون الأقرع، وعنبسة الفيل، ثمّ تابعهم عليه تلاميذهم يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، وعبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، وجميعهم من البصرة، وقد تقاسم المدينة قبائل العرب المهاجرة إليها بعد تمصيرها، فأقامت كلّ قبيلة بجانب بطونها وأفخاذها، وأقاموا فيها أسواقاً أدبيّة للمفاخرة والمناضلة والمناشدة على غرار أسواقهم التي كانت في الجاهليّة، وكان أشهرها سوق المربد، ثمّ وفد على البصرة عدد غير قليل من العرب والموالي، وامتزجوا بأهلها وتفاعلوا معهم، ونشأ منهم جميعاً هذا الرعيل من العلماء الذين استطاعوا أن يضربوا بسهم نافذ فيما درسوا من العلوم، وقد ساعد موقع البصرة الجغرافيّ في وضع علم النحو، ولا يخفى أثر المسجد في تنمية الوعي الثقافيّ المستنير، فقد كانت تعقد فيه حلقات الدراسة، ومجالس القراءة والوعظ، وحلقات اللغة والتفسير وعلم الكلام والحديث[1].

فبعد أن وضع أبو الأسود بذرة هذا العلم ما لبثت هذه البذرة أن اتّضحت في الأذهان، وبدأ يتطوّر شيئاً فشيئاً عبر عدّة مراحل، من ضرب المثل وسوق الدليل على صحّة ما يقولون وسلامة ما ذهبوا إليه، إلى اتّباع السابقين والأخذ

(١) النحو العربيّ، راوي، (ص٧٣ و٨٠ و٨٥). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٥٣).

عنهم، إلىٰ التعليل والتأويل لما ذهبوا إليه، إلىٰ اكتمال علم النحو نضجه، وقد ظهر في هذه المدرسة طبقات متعدّدة من العلماء الذين أسهموا في تطوير هذا العلم، ولكلّ منهم تلامذة، وسأذكر أشهر علماء المدرسة البصريّة[١]:

* أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان، من الدئل بطن من كنانة، كان من سادات التابعين، ورد البصرة من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، كان أعلم عصره بكلام العرب، وهو أوّل من ضبط المصحف بالشكل، وهو واضع علم النحو، وأوّل من دون فيه، كما سبق بيانه.

* عبد الرحمن بن هرمز: مولى محمّد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان من القرّاء والمحدّثين، والفقهاء، وهو من شيوخ الإمام مالك بن أنس إمام المدينة، نقل الزبيديّ في كتابه «طبقات النحويّين واللغويّين»: عن أبي النضر قال: كان عبد الرحمن بن هرمز من أوّل من وضع العربيّة، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش[٢].

* يحيىٰ بن يعمر العدوانيّ الليثيّ: تابعيّ وأحد قرّاء البصرة، من أوائل من أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤليّ، واشترك مع نصر بن عاصم في وضع نقط المصحف نقط الإعجام.

* أبو عبد الله ميمون الأقرن.

* عنبسة بن معدان الميسانيّ المهريّ، لقّب بالفيل؛ لأنّ أباه كان يروض فيلاً للحجاج، فغلب عليه اللقب، ثمّ انتقل منه إليه.

---

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٦٨ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص١٧ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص١١١ وما بعدها). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٥٨). ـ المدارس النحويّة، السامرائي، (ص١٧ وما بعدها).

(٢) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٢٦).

❋ نصر بن عاصم بن عمرو بن خالد الليثيّ، من قدماء التابعين فقيه قارئ عالم بالعربيّة.

وهؤلاء الأربعة هم تلاميذ أبي الأسود الدؤلي أخذوا عنه العلم ونشروه وساهموا فيه، وما منهم إلا وعزي وضع النحو إليه في بعض الروايات؛ لما لهم من إسهامات عظيمة فيه.

❋ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ البصريّ: أخذ عن ميمون الأقرن، ونصر بن عاصم، ويحيىٰ بن يعمر، قال ابن سلام: سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعِلمِه، فقال: هو والبحر سواء، أي هو الغاية، قال: فأين علمُه من علم الناس اليومَ؟!، قال: لو لم يكن في الناس اليومَ أحد لا يعلم إلا علمه يومئذ لضُحك منه، ولو كان فيهم مَن له ذهنه ونفاذه، ونظر نظرَه لكان أعلمَ الناس[1].

قال الزبيديّ: وهو أوّل من بَعج النحو، ومدَّ القياس، وشرح العلل، وكان مائلًا إلىٰ القياس في النحو[2].

ومن أعلام المدرسة البصرية:

❋ أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار المازنيّ التميميّ.

❋ أبو عمر مولىٰ خالد بن الوليد؛ عيسىٰ بن عمر الثقفيّ.

❋ الأخفش الأكبر أبو الخطّاب عبد الحميد بن عبد المجيد أوّل الأخافشة الثلاثة المشهورين.

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٣٢).

(٢) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٣١).

❋ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ الأزديّ صاحب كتاب «العين».

❋ أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبّيّ.

❋ سيبويه أبو بشر عثمان بن عثمان بن قنبر، وسيبويه أي: رائحة التفاح.

❋ أبو محمّد يحيىٰ بن المبارك بن المغيرة العدويّ اليزيديّ.

❋ الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة، أوسط الأخافشة الثلاثة.

❋ قطرب أبو عليّ محمّد بن المستنير، كان كلّما خرج سيبويه من بيته سحراً وجده علىٰ بابه، فقال له: إنّما أنت قطرب ليل، فأطلق عليه ولصق به.

❋ أبو عمرو صالح بن إسحاق الجرميّ.

❋ أبو محمّد عبد الله بن محمّد التوزيّ.

❋ أبو عثمان بكر بن محمّد المازنيّ.

❋ أبو حاتم سهل بن محمّد السجستانيّ.

❋ أبو الفضل العبّاس بن فرج الرياشيّ.

❋ المبرّد أبو العبّاس محمّد بن يزيد من بني ثمالة، وإنّما لقّب بالمبرّد؛ لأنّه لما صنّف المازنيّ كتاب «الألف واللام»، سأله عن دقيقه وعويصه، فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازنيّ: قم فأنت المبرّد؛ أي: المثبت للحقّ.

هؤلاء هم أهمّ أعلام المدرسة البصرية[1]، وإن كان في آخر طبقاتهم من

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٦٨ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص١٧=

لم يلتزم كامل المذهب وتفاصيله؛ لوجود المدرسة الجديدة هي المدرسة البغداديّة.

= وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص١١١ وما بعدها). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٥٨). ـ المدارس النحويّة، السامرائي، (ص١٧ وما بعدها).

المطلب الثاني
مدرسة الكوفة

ذكرت سابقاً أنّ البصرة صاحبة الفضل في وضع علم النحو وتعهّده في نشأته، وأنّها استأثرت بالطور الأوّل من نشوئه، فقد بدأت الدراسات النحويّة في الكوفة متأخّرة عن البصرة بنحو قرن من الزمان، وذلك لأمور تتعلّق بطبيعة موقع كلّ من البلدين، وطبيعة تكوين شعبه ونمط الحياة فيه، وبما إنّ أكثر سكان الكوفة من العسكريّين المجاهدين الذين يقومون بأمور الدفاع عن البلاد، وتنظيم الحركات العسكريّة، فقد نشأ في الكوفة طبقة من العليّة والأشراف الذين وجدوا في الحياة العسكريّة ما يشبع رغباتهم من التغنّي بالبطولة والتفاخر بالأنساب، بالإضافة إلى هجرة الكثير من القرّاء والفقهاء والشعراء إليها، وكان فيها ثلاثة من القرّاء السبعة المشهورين، فقد انشغل أهلها بالقراءات والحديث النبويّ، وأصول الفقه ودراسة آيات الأحكام، إلى جانب رواية الشعر ودراسة الأدب؛ لتمكّن العادات القبليّة فيهم كالمفاخرات والمنافرات، والإشادة بالأجداد، كتب السيوطيّ في كتابه «الاقتراح» عن تفوّق أهل الكوفة في ذلك فقال: عن حمّاد الراوية قال: أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ـ وهي الكراريس ـ، ثمّ دفنها في قصره الأبيض، فلمّا كان المختار بن أبي عبيد، قيل له: إنّ تحت القصر كنزاً فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار، فمن ثَمّ أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة[1].

ففي الوقت التي كانت البصرة قابعة على دراسة النحو، كانت الكوفة

(١) الاقتراح، السيوطي، (ص١٠٧).

مشغولة بما ذكر لذا فقد بدأت الدراسات النحويّة فيها متأخّرة عن البصرة، ولم يظهر نحويّ كوفيّ بالمعنى الدقيق إلا فيما يوازي الطبقة الرابعة من نحاة البصرة، حيث ظهر عليّ بن حمزة الكسائيّ الذي يعزى إليه قيام مدرسة الكوفة النحويّة مع تلميذه الفرّاء، وإن كان أبو جعفر الرؤاسيّ ومعاذ الهرّاء قد سبقاه في ذلك بما يوازي الطبقة الثانية من علماء البصرة، وإليهما ينسب بعض الباحثين المدرسة الكوفيّة(١).

وتعتبر المدرسة البصريّة أصل للمدرسة الكوفيّة، فأبو جعفر الرؤاسيّ الكوفيّ أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر في البصرة، وكذلك معاذ بن مسلم الهرّاء أخذ عن نحاة البصرة، والكسائيّ أخذ عن عيسى بن عمر، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والفّراء تتلمذ على يد يونس بن حبيب، وقد ظهر في هذه المدرسة طبقات متعدّدة من العلماء الذين أسهموا في تطوير هذا العلم، ولكلّ منهم تلامذة، وسأذكر أشهر علماء المدرسة الكوفيّة(٢):

* أبو جعفر محمّد بن الحسن الرؤاسيّ، لقّب بالرؤاسيّ؛ لكبر رأسه، أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، اشتغل بالنحو مع عمّه معاذ ليكوّنا الطبقة الأولى في المدرسة الكوفيّة.

* أبو مسلم معاذ بن مسلم الهرّاء، لقّب بالهرّاء؛ لبيعه الثياب الهرويّة، اشتغل مع ابن أخيه الرؤاسيّ، وتنسب إليهما اللبنة الأولى في المدرسة الكوفيّة.

* أبو الحسن علي بن حمزة الكسائيّ، سئل عن سبب تلقيبه بالكسائيّ، فقال: لأنّي أحرمت في كساء، أكبّ على حلقات القرّاء حتى صارت له قراءة من

---

(١) النحو العربيّ، راوي، (ص٣٧٥). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص١٥٣).

(٢) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١١٥ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص١٥١ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٣٨٥ وما بعدها). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٥٨ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، السامرائي، (ص٣١ وما بعدها).

السبع المتواترة تعرف باسمه، أخذ النحو عن عيسىٰ بن عمر، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، ويرجع الكثير من الباحثين الفضل له في تأسيس المدرسة الكوفيّة؛ لنشاطه في الدراسة والتأليف، ومناظراته فيها.

❋ الأحمر أبو الحسن علي بن الحسن، كان يترصّد للكسائيّ عند حضوره للرشيد، ويسير في ركابه وبحاشيته جيئة وذهاباً، يستفيد منه المسألة بعد الأخرىٰ حتىٰ عدّ في أصحاب الكسائيّ.

❋ الفرّاء أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله الديلميّ، لقّب بالفرّاء؛ لأنّه كان يفري الكلام تتلمذ علىٰ يد الرؤاسيّ في الكوفة، ثمّ الكسائيّ في بغداد، وأخذ عن يونس بن حبيب من البصرة.

❋ أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير، أنبه تلاميذ الكسائيّ بعد الفرّاء.

❋ أبو الحسن علي بن المبارك اللحيانيّ، أخذ عن الكسائيّ، وأبي زيد، وأبي عمرو الشيبانيّ.

❋ أبو جعفر الضرير محمّد بن سعدان، أخذ عن أبي معاوية الضرير، وعبد الله بن إدريس، واشتهر بالعربيّة والقراءات.

❋ الطوال أبو عبد الله محمّد بن أحمد، سمع من الكسائيّ وغيره.

❋ أبو جعفر محمّد بن عبد الله بن قادم، أخذ عن الفرّاء.

❋ ثعلب أبو العبّاس أحمد بن يحيىٰ، أخذ عن ابن الأعرابي وابن قادم، وسلمة بن عاصم، وهبه الله حافظة واعية مكّنته أن يستظهر ما يقرأه، فحفظ كتب الكسائيّ والفرّاء، واستطاع أن يقرأ بنفسه كتاب سيبويه، فتزعّم رياسة النحو في المدرسة الكوفيّة، وجمعت بغداد بينه وبين أبي العبّاس المبرّد زعيم البصريّين

الذي نافسه شرف الرياسة العلميّة والزلفىٰ عند الخلفاء والأمراء، فكانت بينهما مناظرات عدّة.

هؤلاء هم أهمّ أعلام المدرسة الكوفيّة[١]، وإن كان في آخر طبقاتهم من لم يلتزم كامل المذهب وتفاصيله؛ لوجود المدرسة الجديدة هي المدرسة البغداديّة.

وبالنظر بين المدرستين يتبيّن ما يلي:

* أنّ البصريّين يؤثرون السماع علىٰ القياس فلا يصيرون إليه إلا إذا أعوزتهم الحاجة، أما الكوفيّون فعلىٰ العكس فقد فضّلوا القياس علىٰ السماع في كثير من مسائلهم.

* أنّ البصريّين احتاطوا في أقيستهم، فلم يدوّنوها إلا بعد توافر أسباب الاطمئنان عليها، بخلاف الكوفيّين الذين تفكّكوا من قيودهم.

* أنّ البصريّين لا يعولون علىٰ القياس النظريّ عند انعدام الشاهد إلا فيما ندر، بخلاف الكوفيّين فلطالما جنحوا إليه[٢].

قال السيوطيّ في كتابه «الاقتراح»: اتّفقوا علىٰ أنّ البصريّين أصحّ قياساً لأنّهم لا يلتفتون إلىٰ كلّ مسموع ولا يقيسون علىٰ الشاذّ، والكوفيّين أوسع رواية[٣].

---

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١١٥ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص١٥١ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٣٨٥ وما بعدها). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٥٨ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، السامرائي، (ص٣١ وما بعدها).

(٢) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١٦٦).

(٣) الاقتراح، السيوطي، (ص٤٢١).

المطلب الثالث

مدرسة بغـداد

استطاعت بغداد بعد أن اتّخذها خلفاء بني العبّاس عاصمة لهم أن تجذب إليها العلماء على اختلاف تخصّصاتهم وتنوّع مشاربهم ومدارسهم، حيث كان الخلفاء يقرّبون أهل العلم إلى مجالسهم ويشجّعونهم، ويسخون عليهم بالعطاء، وكذلك كان الحال مع علماء اللغة والنحو، فقد وفد إلى بغداد علماء المدرستين البصريّة والكوفيّة، وكان وفود الكسائيّ من المدرسة الكوفيّة أسبق وأقدم، فاستطاع أن يمكّن للمدرسة الكوفيّة، وتمّ التقاء المدرستين في بغداد على يد المبرّد البصريّ، وثعلب الكوفيّ، وبعد وفود علماء كلا المدرستين تشكّل في بغداد ثلاثة أصناف من العلماء، هم أتباع المدرسة البصريّة، وأتباع المدرسة الكوفيّة، وأتباع المدرسة المختلطة التي تجمع بين المدرستين وترجّح أحد القولين في مسألة وترجّح غيره في مسألة أخرى، وكان أهمّ ما هيأ لهذه المدرسة أنّ أوائل هؤلاء النحاة تتلمذوا على يد المبرّد البصريّ، وثعلب الكوفيّ، وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما، ويعنى بالتعمّق في مصنّفات أصحابهما، ويقوم على الاختيار والانتخاب منهما؛ ليظهر داخل هذا الجيل ما سمّي فيما بعد بالمدرسة البغداديّة[1].

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١٨٤ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص٢٤٥ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٤٤١ وما بعدها). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٦٣ وما بعدها).

فممن غلبت عليه النزعة البصريّة:

❋ الزجّاج أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ بن سهل، ولقّب بالزجّاج؛ لأنّه كان يخرط الزجاج، نشأ ببغداد، وتلقى عن ثعلب ثمّ عن المبرّد.

❋ ابن السرّاج أبو بكر بن السريّ بن سهل السرّاج، نشأ ببغداد وسمع من المبرّد، وكان أحدث تلاميذه، وقرأ عليه كتاب سيبويه.

❋ الزجّاجيّ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، من نهاوند قدم بغداد وسمع من ابن السرّاج والأخفش، ولازم الزجّاج فنسب إليه.

❋ ابن درستويه أبو محمّد عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان، أقام في بغداد، وأخذ عن ابن قتيبة، والمبرّد، وثعلب وغيرهم.

وممّن غلبت عليه النزعة الكوفيّة:

❋ أبو موسى الحامض سليمان بن محمّد بن محمّد بن أحمد، ولقّب بالحامض لشراسته، لازم ثعلباً زهاء أربعين حولاً، ثمّ خلفه بعد موته، وأخذ عن البصريّين، وجمع بين المدرستين.

❋ ابن الأنباريّ أبو بكر محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشار الأنباريّ، أقام مع أبيه في بغداد، وأخذ عنه وعن ثعلب وغيرهما.

وممن جمع بين النزعتين:

❋ ابن قتيبة: هو أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ، أقام ببغداد وسمع من الزياديّ، والسجستانيّ، وابن راهويه وغيرهم.

❋ ابن كيسان أبو الحسن محمّد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان، كان يحفظ

مذاهب البصريّين والكوفيّين في النحو؛ لأنّه أخذ عن المبرّد وثعلب، وغيرهما، والكلّ عنده سواء.

* الأخفش الصغير أبو الحسن علي بن سليمان، أحد الأخافشة الثلاثة، أخذ عن المبرّد وثعلب، واليزيديّ وأبي العيناء.

* ابن شقير أبو بكر أحمد بن الحسن بن العبّاس بن الفرج البغداديّ، أخذ عن علماء الكوفة والبصرة، فجمع بين المذهبين.

* ابن الخيّاط هو أبو بكر محمّد بن أحمد بن منصور بن الخيّاط، قدم بغداد بعد وفاة المبّرد وضعف ثعلب عن الإفادة لصمَمِه الشديد، فاستمع من أترابهما.

* نفطويه أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة المهلبيّ، أخذ عن المبرّد وثعلب وغيرهما، ثمّ انتفع الناس بدراسته[١].

وظلّ المذهب البغداديّ منذ أن نشأ في أواخر القرن الثالث الهجريّ متماسكاً قويّاً يعكف علماؤه على البحث والتقصّي والاستقراء والاختيار والانتخاب والترجيح بين الآراء، حتّى كثرت قواعد المذهب، وأيّده النظار له، واشتهر به طائفة من النحويّين، فقاسم المدرستين الرئيستين عملاً ومزاولة، وشقّ سبيلاً معهما، وامتدّت به الأيّام، وحدث للنحو به عهد جديد[٢].

ولم تزل المدرسة البغداديّة قويّة متماسكة إلى أن اضطربت الأوضاع في بغداد، وتضعضع شأن الخلافة العبّاسيّة عندما تغلّب البويهيّين عليها فتفرّق

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١٨٦). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٤٨١).
(٢) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١٧٢ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٤٤٧ وما بعدها). ـ النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره، الشامي، (ص١٦٣ وما بعدها).

العلماء في الأقطار الإسلاميّة، كان ذلك بعد منتصف القرن الرابع الهجريّ تقريباً، إلا أنّ روح المذهب البغداديّ بقي في العراق وما حولها والأماكن التي انتقل إليها علماؤه، وقد تزامن قيام الدول والممالك الإسلاميّة مع انفراط عقد الخلافة العبّاسيّة، وبقائها اسماً، واهتمّ ملوك الدول الجديدة بالعلم والعلماء، إلى عهد الدولة السلجوقيّة الذي أنشأ أميرها المدرسة النظاميّة في بغداد، ما دفع العلماء إلى بذل الجهد في البحث والتنقيب والترجيح والتأليف، فكثرت المصنّفات النحويّة، وزاد عدد المشتغلين بالنحو على من كان قبلهم غير أنّهم ما برحوا يقتفون أثر أسلافهم، ويلتمسون خطاهم، فكانوا مرآة صادقة لهم، انطبعت فيها اتّجاهاتهم الثلاث: البصريّة والكوفيّة والبغداديّة[١].

يقول الشيخ محمّد الطنطاوي: إنّ علماء هذه الحقبة أفرغوا جهدهم في إعلاء منارة هذا العلم، ونوّعوا في مصنّفاتهم ابتغاء الإحاطة بكلّ ما يتّصل به، وافتنوا في تلوين عرض هذا الفنّ بصور مختلفة، وأدّوا رسالتهم خير تأدية، وما فتئوا جادّين في خدمة هذا العلم حتى آذنت شمس الدولة العبّاسيّة بالمغيب سنة ٦٥٦هـ، فسقط كثير من هذه الممالك الإسلاميّة وراءها وطويت صفحاتها حيناً من الدهر، فوهنت فيها اللغة العربيّة نفسها، وخفت صوت هذا الفنّ[٢].

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١٩١). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٤٨٣).
(٢) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١٩٣).

المطلب الرابع
مدرستا مصر والشام

في الوقت الذي كانت البصرة والكوفة وبغداد تقوم فيها المدارس النحويّة على وجه التنافس والتباين في الآراء والاختلاف في المذاهب والمشارب، كانت مصر والشام تعيش نتائج الفتح الإسلاميّ، واستتباب الأمن وتحصين الثغور، وإن الناظر ليحار في تعريف الأسباب التي أقعدت مصر عن النهوض بهذا العلم دون مشاطرة العراق في إبان تكوينه ونشوئه حتّى أوشك أن ينضج ويكمل، مع توثّق الصلات بينها وبين العراق في ذلك العهد، ومع وفود العرب الخلّص إليها مع الفاتحين كالعرب الذين نزحوا إلى العراق، وكانوا مثابة لنحاته في تدوين النحو، والسير به قدماً إلى أن تمّ على أيديهم، ومع وجود العلماء الذين يعتمد عليهم، وفيهم غناء، أيّ غناء بين ظهرانيهم من أمثال عبد الرحمن بن هرمز الذي استوطن قديماً الإسكندريّة حتّى قضى نحبه فيها، وقد مضى في الكلام على واضع النحو أنّ بعض العلماء عدّه الواضع له، أو ذهاب بعض من علماء مصر للعراق كالوليد بن محمّد التميميّ الشهير بولّاد الذي رحل للبصرة وتعلّم على المهلبيّ تلميذ الخليل بن أحمد، وأعجب من هذا تواني الشام عن المشاركة في هذا العلم تلك الأيّام السالفة، فإنّ للشام بعد هذه الدواعي المساوية فيها مصر امتيازها عنها بالقرب من العراق من جهة، واقتراب بادية الشام منها من جهة أخرى، فكان سهلاً على علماء الشام اتّصالهم بها عن كثب منهم دون اغتراب وعناء[1].

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص١٤٦). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٥٧٧). ـ المدارس النحويّة،=

وظلّ القطران كذلك حتّىٰ قيّضت لهما دولة الفاطميّين التي كانت أوفر عناية ممّا قبلها، وبخاصة في الدواوين، إذ كانت تعمد إلىٰ تعيين المراقب عليها ممّن عرف بالنحو وعلوم اللغة العربيّة فلا تصدر مكاتبتها إلا بعد وقوفه عليها وموافقته علىٰ ما فيها؛ لأنّ الدولة عربيّة، وممّن تولّىٰ هذا المنصب فيها ابن بابشاذ وابن بريّ، لهذا نشأ بالقطرين في هذا العهد بعض علماء النحو الذين أخذوا عن أسلافهم من القطرين، فكانوا يقتفون كمن سبقهم من العلماء مذاهب العراقيّين لأنّهم تلقّوا نحوهم عنهم قبل إقفار المشرق من هذا العلم وعلمائه[١]، ومن أشهر علماء هاتين المدرستين[٢]:

* الحوفيّ أبو الحسن علي بن إبراهيم، وأصله من شبرا النخلة، محافظة الشرقيّة، ورد القاهرة فسمع من أبي بكر الأدفويّ، وبعض علماء المغرب الذين نزحوا إلىٰ القاهرة، وسرعان ما اشتهر علمه وأدبه.

* ابن بابشاذ أبو الحسن طاهر بن أحمد المصريّ، ولد ونشأ بمصر، ثمّ وفد إلىٰ العراق، فأخذ عن علمائه، ثمّ قفل إلىٰ مصر وتصدّر للإفادة في جامع عمرو بن العاص، وتولّىٰ ديوان الإنشاء للفاطميّين.

* ابن بريّ أبو محمّد عبد الله بن بريّ المصريّ، أصله من بيت المقدس، ولد ونشأ بمصر، فأخذ عن الشنتينيّ النحويّ وغيره، ورأس ديوان الرسائل كابن بابشاذ.

* ابن معطي، أبو الحسين يحيىٰ زين الدين بن عبد المعطي بن عبد النور

= شوقي ضيف، (ص٣٢٧).

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢١٢).

(٢) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢١٣ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٦٠١ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص٣٢٧ وما بعدها).

الزواويّ، ولد بالمغرب من قبيلة زواوة، سمع من الجزوليّ وابن عساكر، ثمّ رحل إلىٰ دمشق واستوطنها.

* ابن يعيش أبو البقاء يعيش موفّق الدين بن علي بن يعيش، نشأ بحلب، وتلقّىٰ النحو عن فتيان الحلبيّ وغيره، ثمّ ارتحل إلىٰ بغداد أملاً في السماع من كمال الدين الأنباريّ، لكن شاءت إدارة الله أن لا يراه.

* السخاويّ أبو الحسن عليّ علم الدين بن محمّد، ولد في سخا بمديريّة الغربيّة، تلقّىٰ العلم عن البوصيريّ وغيره، ثمّ انتقل إلىٰ دمشق، وسمع من الكنديّ وغيره.

* ابن الحاجب أبو عمر عثمان جمال الدين بن عمر، المشهور بابن الحاجب؛ لأنّ أباه كان حاجباً للأمير عزّ الدين موسك الصلاحيّ بالقاهرة، تلقّىٰ العلوم عن الشاطبيّ وغيره، فتبحّر في العربيّة حدثاً، ثمّ انتقل إلىٰ دمشق فأكبّ الناس عليه في متنوّع الفنون[1].

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢١٣ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٦٠١ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص٣٢٧ وما بعدها).

المطلب الخامس
مدرسة الأندلس

تباعد الشقة بين هذه البلاد وبين العراق مهد النحو قضىٰ عليها أن تتأخّر ردحاً من الزمن عن اقتفائها العراق في مزاولته إلىٰ أن نضج وكمل، وعناية الولاة علىٰ الأندلس من قبل بني أميّة منذ فتحه منصرفة إلىٰ إخضاع البلاد للخلافة فحسب، نعم، لمّا استقلّت بنو أميّة بالأندلس علىٰ يد عبد الرحمن الداخل صقر قريش، وتوطّد فيها الملك له ولعقبه من بعده استقبلت الأندلس عهداً جديداً، وبدأت الحركة العلميّة فيها، بفضل مناصرة بني أميّة للّغة جرياً علىٰ دأب بني أبيهم في المشرق، فرغّبوا العلماء، وحثّوهم ووضعوا لهم المكافآت علىٰ دراستهم وتصنيفهم، وبديهيّ أنّ علوم اللغة لا تبدأ في قطر من الأقطار إلا تالية لدراسة القرآن الكريم وقراءاته، وعلوم السنّة، والفقه الإسلاميّ ومذاهبه، ثمّ يلتفت إلىٰ دراسة علم اللغة والنحو، فلا عجب إذا وجدنا مشهوري علماء اللغة والنحو من القرّاء والمحدّثين والفقهاء، وقد وجد في الأندلس علماء يقومون بتعليم شباب الأندلس في قرطبة وغيرها مبادئ العربيّة عن طريق دراسة النصوص والأشعار، ولعلّ من أشهرهم أبو موسىٰ الهواريّ[1]، يقول الزبيديّ في كتابه طبقات النحويّين واللغويّين: أبو موسىٰ الهواريّ، هو من أهل الفقه في الدين، وأوّل من جمع الفقه في الدين وعلم العرب بالأندلس، ورحل في أوّل خلافة الإمام عبد الرحمن بن معاوية، فلقي مالكًا ونظراءه من الأئمّة، ولقي الأصمعي

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢١٨). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٦٧٥). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص٢٨٩).

وأبا زيد الأنصاريّ ونظراءهما، وداخل الأعراب في محالّها[١].

ولا ريب أنّ دراسة النحو المتخصّصة بدأت تظهر في الأندلس منذ عودة جودي بن عثمان من المشرق، بعد أن تتلمذ على الكسائيّ والفرّاء، حيث إنّه أوّل من أدخل كتب الكوفيّين إلى الأندلس، وأوّل من صنّف في النحو على مذهبهم، وظلّ يدرّس النحو إلى أن توفّي، وكان يعاصره أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الذي رحل مثله إلى المشرق، وأخذ عن عثمان بن سعيد المصريّ؛ المعروف ب ورش صاحب القراءة من السبع المتواترة، وكان بصيراً بالعربيّة[٢].

ومن أشهر علماء هذه المدرسة[٣]:

❋ جودي بن عثمان النحويّ المغربيّ، نشأ في مورور قرب القيروان، رحل للعراق، وأخذ عن الكسائيّ والفرّاء والرياشيّ، وروى عن الكسائيّ كتابه، واستصحبه معه في عودته إلى وطنه، غير أنّه اتّجه بعد إلى قرطبة، فكان أوّل من أدخل كتاب الكسائيّ في هذه البلاد.

❋ عبد الله بن الغازي بن قيس، كان عالماً بالعربيّة والغريب والشعر.

❋ هارون بن أبي غزالة السبائيّ، كان عالماً بالعربيّة، أخذ عنه جابر بن غيث.

❋ حمدون المغربيّ محمّد بن إسماعيل، نشأ بالقيروان وتلقّى عن المهريّ، ثمّ بلغ الغاية في النحو والغريب، وهو أوّل من عرف بحفظ كتاب

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص٢٥٣).

(٢) النحو العربيّ، راوي، (ص٦٧٦). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص٢٨٩).

(٣) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢٢٥ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٦٨١ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص٢٨ وما بعدها).

سيبويه وكان الكتاب في المغرب، ولا يعرف على التعيين أوّل من جلبه.

* الأفشنيق محمّد بن موسى الأندلسيّ، رحل إلى المشرق، فأخذ بمصر عن أبي عليّ الدينوريّ كتاب سيبويه، وانتسخه، وبالبصرة عن المازنيّ، ثمّ عاد إلى الأندلس ومعه الكتاب، ويغلب على الظنّ أنّه أوّل من أدخل الكتاب الأندلس.

* محمّد بن يحيى الرباحيّ الأندلسيّ، أصله من جيان، انتقل أبوه إلى قلعة رباح من أعمال طليطلة، اشتهر بالنحو؛ ورحل إلى مصر، فلقي أبا جعفر النحاس، وروى عنه كتاب سيبويه، ثمّ عاد إلى الأندلس وتلقّى عنه الزبيديّ.

* الزبيديّ أبو بكر محمّد بن الحسن، أصله من زبيد قبيلة يمنيّة، ولد في إشبيليّة، وتأدّب على أبيه، ثمّ سمع من أبي عليّ القاليّ، ومحمّد بن يحيى الرباحيّ وغيرهما في قرطبة، حتّى غدا أوحد زمانه في النحو وحفظ اللغة.

* ابن الطراوة أبو الحسين سليمان بن محمّد، ولد بمالقة ورحل إلى قرطبة فسمع من الأعلم كتاب سيبويه، كما أخذ عن غيره، ثمّ تجوّل كثيراً في الأندلس، فانتفع به خلق كثير، انفرد بمسائل جمّة خالف فيها النحاة.

* الجزوليّ أبو موسى عيسى بن يللبخت، من قبيلة جزولة من قبائل البربر بمراكش، نشأ بمراكش، ولما حجّ عرّج على مصر فتلقّى النحو عن ابن بريّ، وقرأ عليه كتاب الجمل للزجّاجيّ[1].

(١) نشأة النحو، الطنطاوي، (ص٢٢٥ وما بعدها). ـ النحو العربيّ، راوي، (ص٦٨١ وما بعدها). ـ المدارس النحويّة، شوقي ضيف، (ص٢٨٨ وما بعدها).

المبحث الثالث

قضـايا علم النحو

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأوّل: الحذف.
- المطلب الثاني: الزيادة.
- المطلب الثالث: التضمين.

المطلب الأوّل
الحـذف

الحذف ظاهرة لغويّة تشترك فيها اللغات الإنسانيّة، لكنّها في اللغة العربيّة أكثر ثباتًا ووضوحاً؛ لأنّ اللغة العربيّة من خصائصها الأصيلة الميل إلىٰ الإيجاز والاختصار، والحذف يعدّ أحد نوعي الإيجاز وهما: القصر والحذف، وقد نفرت العرب ممّا هو ثقيل في لسانها، ومالت إلىٰ ما هو خفيف.

الحذف لغة: مصدر للفعل الثلاثي حذف، القطع والإسقاط؛ حذف الشيء يحذفه حذفاً قطعه من طرفه، جاء في «الصحاح»: حَذْفُ الشيءِ، إسقاطُه، يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَة، أي: أخذت... وحَذَفْتُ رأسَه بالسيف، إذا ضربته فقطعتَ منه قطعةً، وفي لسان العرب: «حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً قَطَعَه من طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر من ذلك، والحَذْفُ: الرَّمْيُ عن جانِبٍ والضرْبُ»[1].

الحذف اصطلاحاً: هو حذف العامل مع بقاء أثره الإعرابيّ؛ أو هو: إسقاط صيغ داخل التركيب في بعض المواقف اللغويّة، وهذه الصيغ التي يرىٰ النحاة أنّها محذوفة تلعب دورًا في التركيب في حالتي الذكر والإسقاط، وهذه الصيغ يفترض وجودها نحويًا لسلامة التركيب وتطبيقًا للقواعد، ثمّ هي موجودة ويمكن

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٣٩/٩). ـ تهذيب اللغة، الأزهري، (٢٧٠/٤). ـ الصحاح، الجوهري، (٢٧/٥).

أن تكون موجودةً في مواقف لغويّة مختلفة[١]، وعرّفه الزركشيّ بقوله: إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل[٢]، ويمكن القول هنا: إنّ المحذوف شبه معروف على الرغم من غيابه؛ ويمكن تقديره بسهولة؛ لأنّه مفهوم من السياق.

ويشيع الحذف ومظاهره في معظم أبواب النحو العربيّ والصرف؛ وذلك لأنّ العرب قد حذفت الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس من شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته، وتأتي أهميّة القول بالحذف في أنّه أحد المطالب الاستعماليّة؛ فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكوّنة لهذا البناء أو الجملة المكتوبة وذلك لا يتمّ إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد حذفها مغنيًا في الدلالة، كافيًا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر؛ لأنّ هناك قرائن معنويّة أو مقاليّة تشير إليه، ولذلك يقول ابن جنّيّ: إنّ العرب إذا حذفت من الكلمة حرفًا أو كلمةً أو جملةً راعت حال ما بقي منه، فإن كان ممّا تقبله أمثلتهم أقرّوه على صورته، وإن خالف ذلك مالوا به إلى نحو صُوَرهم؛ لأنّ حذف ما حذف من الكلمة يبقي منها بعده مثالًا مقبولًا، لم يكن لك بدّ في الاعتزام عليه، وإقراره على صورته تلك البتّة[٣].

وهذا يطلعنا على حقيقة العربيّة، وميلها إلى الإيجاز الشديد، وأنّ المحذوفات في كتاب الله تعالى ـ لعلم المخاطبين بها ـ كثيرة جدًا، وهي إذا

(١) الحذف والتقدير في النحو العربيّ، المؤلف: علي أبو المكارم، (ص٢٠٠)، درا غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٢) البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمّد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، (١٠٢/٣)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

(٣) الخصائص، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جنّيّ، تحقيق: محمّد علي النجار، (١١٥/٣)، الناشر: عالم الكتب، بيروت.

أظهرت تمّ بها الكلام، وحذفها أوجز وأبلغ، يقول عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه «دلائل الإعجاز»: هو بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيه بالسِّحر فإِنَّك ترىٰ به ترك الذِكْر أفصحَ من الذكر والصمت عن الإِفادة أزيدَ للإِفادة وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إِذا لم تنطِقْ وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن[1]، ويقول أيضاً: ولا يَعْدو الذي يقَعُ في أوّل الخاطر أنَّ الذي قلتُ في شأنِ الحذفِ وفي تفخيم أمرِه والتَّنويهِ بذكِره وأنّ مأخذَه مأخذٌ يشبهُ السِّحر ويبْهَرُ الفكَر كالذي قلتُ: وهذا فَنٌّ آخرُ من معانِيه عجيبٌ، وأنا ذاكرُه لك[2].

❊ أسباب الحذف.

هي أسباب حاول النُّحاة تفسير الظاهرة في مواضعها وأنواعها المختلفة، وبعض هذه الأسباب قد لا يطَّرد في كلّ موضع، وبعضها يعلّل الحذف لأكثر من سبب، ومواضع أخرىٰ لا يُعَلَّلُ الحذف إلا بسببٍ واحد، ومن أسباب الحذف:

١ ـ كثرة الاستعمال: هذا التعليل كثير عند النحاة، وهو أكثر الأسباب التي يفسّرون بها الظاهرة، ومن أمثلة ذلك: حذف خبر لا النافية للجنس كثيرًا مثل: لا إله إلا الله، لا ريب، لا شكّ، لا مفرّ، لاسيّما، ومثل الأقوال التي كثر استعمالها؛ كقولنا: الجار قبل الدار. أي: تخيّر الجار قبل الدار. وقولنا: بسم الله. أي: بدأت بسم الله.

٢ ـ طول الكلام: وذلك عندما تطول التراكيب؛ فيقع الحذف تخفيفًا من الثقل؛ كجملة الصلة التي طالت، وأسلوب الشرط، وأسلوب القسم؛ ومن ذلك

(١) دلائل الإعجاز، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الجرجاني، تحقيق: محمّد التنجي، (ص١٢١)، الناشر: دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٥م.

(٢) دلائل الإعجاز، الجرجاني، (ص١٢١).

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥]، فالجواب لم يُذكر، وتقديره: أعرضوا؛ بدليل سياق الآية التالية لها، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾ [الرعد: ٣١]، التقدير: لكان هذا القرآن.

٣ ـ الضرورة الشعريّة: ومنه قول لبيد: دَرَسَ المَنَا بمُتَالِعٍ فأَبانا، الأصل: درس المَنَازل، وقول امرئ القيس: لها مَتْنَتَانِ خَظَاتا كَمَا أَكَبَّ عَلَىٰ ساعِدَيْهِ النَّمِرْ، والأصل خظاتان[(١)].

❁ شروط الحذف في اللغة.

والحذف لا بدّ له من قرينة مُصاحِبة تَدُلُّ علىٰ المحذوف، وتكون هذه القرينة حاليّة أو عقليّة أو لفظيّة، وقد وضع النُّحاة مجموعة من الشروط للحذف هي:

١ ـ وجود الدليل علىٰ المحذوف إن كان المحذوف عمدة، أمّا إن كان فضلة فالشرط ألّا يكون في حذفه ضرر.

٢ ـ أن لا يكون المحذوف كالجزء؛ فلا يحذف الفاعل، ولا نائبه ولا ما يشبهه.

---

(١) إعراب القرآن، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (٢/٧٧٠)، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م. ـ الاقتراح، السيوطي، (ص٥٣). ـ الخصائص، ابن جنّيّ، (١/٨١). ـ ظاهرة الحذف بين النحو والبلاغة، المؤلف: سليمان أبو عيسىٰ، (ص٧ وما بعدها)، شبكة الألوكة. ـ الحذف والتخفيف في الجملة القرآنية، المؤلف: خليل إسماعيل الأسمر، (ص٢٤)، الجامعة الإسلامية، غزّة، فلسطين.

٣ ـ أن لا يكون مؤكَّدًا ، فلا يُحذف العائد في نحو قولك: الذي رأيته نفسَه زيد.

٤ ـ أن لا يكون عوضاً عن شيء محذوف ؛ فلا تحذف (ما) في أمّا أنت منطلقاً ولا التاء من نحو: (عِدَةٌ وزِنَةٌ).

٥ ـ أن لا يكون المحذوف عاملاً ضعيفًا ؛ فلا يُحذف الجار والجازم والناصب للفعل ، إلّا في مواضع قويت فيها الدلالة ، وكثر استعمالها ولا يمكن القياس عليها.

٦ ـ أن لا يؤدّي الحذف إلىٰ اختصار المختصر ؛ فلا يُحذف اسم الفعل دون معموله ؛ لأنّه اختصار للفعل.

٧ ـ أن لا يؤدّي الحذف إلىٰ تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه ؛ فلا يحذف المفعول ـ وهو الهاء ـ من ضربني وضربته زيد ؛ لئلّا يتسلّط علىٰ زيد ثمّ يقطع عنه برفعه للفعل الأوّل.

٨ ـ أن لا يؤدّي الحذف إلىٰ إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القويّ ؛ فلا يحذف الضمير في: زيد ضربته ؛ لأنّه يؤدّي إلىٰ إعمال المبتدأ وإهمال الفعل مع أنّه أقوىٰ[1].

(١) ذكر ابن جنّيّ في كتابه الخصائص هذه الشروط متفرقة ، (٢/٣٦) ، (٢/١١٢) ، (٢/١٣٧) ، (٢/٢٨٧). ـ ظاهرة الحذف بين النحو والبلاغة ، سليمان أبو عيسىٰ ، (ص٧ وما بعدها). ـ الحذف والتخفيف في الجملة القرآنية ، خليل إسماعيل الأسمر ، (ص١٧).

المطلب الثاني
الزيـادة

اختلف العلماء من أهل النحو والبلاغة في مسألة الزيادة، فمنهم من أقرّها ومنهم من ردّها، ولعلّ المفهوم الذي تبنّاه كلّ منهم هو الذي حدّد موقفه من المسألة، يقول الزركشيّ في كتابه «البرهان»: الزيادة: والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله، ويسمّونه التأكيد، ومنهم من يسمّيه بالصلة، ومنهم من يسمّيه المقحم، قال ابن جنّيّ كلّ حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرّة أخرىٰ وبابها الحروف والأفعال، . . . ، إلىٰ أن قال: واعلم أنّ الزيادة واللغو من عبارة البصريّين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيّين، قال سيبويه عقب قوله تعالىٰ فبما نقضهم: إنّ ما لغو؛ لأنّها لم تحدث شيئاً، والأولىٰ اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالىٰ، فإنّ مراد النحويّين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنىٰ، فإنّ قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، معناه ما لنت لهم إلا رحمة، وهذا قد جمع نفياً وإثباتاً، ثمّ اختصر علىٰ هذه الإرادة وجمع فيه بين لفظيّ الإثبات وأداة النفي التي هي ما[١].

وقد انقسم النحاة في تسميتها إلىٰ قسمين: فالبصريّون يسمّونها حروف الزيادة والإلغاء، والكوفيّون يسمونها الصلة والحشو.

فالفرّاء يطلق مصطلح الصلة علىٰ الأحرف الزائدة في القرآن الكريم تأدّباً وتورّعاً من أن يكون في القرآن زائد، فعندما أعرب قول الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ

(١) البرهان، الزركشي، (٣/٧١).

مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، قال: العرب تجعل ما صلة في المعرفة والنكرة واحداً، وما هنا حرف صلة، كما أنّه يستعمل مصطلح الحشو أيضاً للدلالة على الحرف الزائد(١).

والزجّاج أورد في إعرابه أمثلة على الزائد في القرآن الكريم، وعقد حول ذلك باباً فقال: الخامس ما جاء في التنزيل وقد زيدت فيه لا وما، وفي بعض ذلك اختلاف، وفي بعض ذا اتفاق(٢)، ثمّ أورد مطوّلاً الآراء المختلفة، ودلّل على صحّة ما ذهب إليه بما ورد عن العرب.

وقضية الزيادة بمعانيها هي من اختصاص علماء النحو، وهم الحجّة في هذا المجال، وقد ذكروا أنّ حروف الزيادة سبعة إن، وأن، ولا، وما، ومن، والباء، واللام، بمعنى أنّها قد تأتي في بعض المواضع زائدة، لا أنّها زائدة أينما وقعت، ولا حصر للزوائد فيها، بل الأكثر يرون أنّ الزيادة تكون بها، قال الزركشيّ في كتابه «البرهان»: فصل في حروف الزيادة، الزيادة إمّا أن تكون لتأكيد النفي كالباء في خبر ليس وما، أو لتأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على المبتدأ، وحروف الزيادة سبعة إن وأن ولا وما ومن والباء واللام، بمعنى أنّها تأتي في بعض الموارد زائدة، لا أنّها لازمة للزيادة، ثمّ ليس المراد حصر الزوائد فيها، فقد زادوا الكاف وغيرها، بل المراد أنّ الأكثر في الزيادة أنْ تكون بها(٣).

إنْ: وتزاد بعد ما النافية، كقول امرئ القيس:

حلفت لها بالله حلفة فاجر ❦ لناموا فما إن من حديث ولا صال.

---

(١) دراسة في النحو الكوفي، المؤلف: المختار أحمد ديرة، (٢٤٧)، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

(٢) إعراب القرآن، الزجاج، (١٣٤/٢).

(٣) البرهان، الزركشي، (٧٥/٣).

أنْ: وتزاد بعد لمّا الظرفية، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

ما: وتزاد بعد خمس كلمات من حروف الجر، فتزاد بعد من، وعن غير كافّة لهما عن العمل، وتزاد بعد الكاف، وربّ، والباء، كافّة تارة وغير كافّة أخرىٰ، والكافّة إمّا أن تكفّ عن عمل النصب والرفع وهي المتصلة بـ إنّ وأخواتها، نحو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنفال: ٦]، وجعلوا منها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وإمّا أن تكفّ عن عمل الجرّ كقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وغير الكافّة تقع بعد الجازم: نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

وبعد الخافض، حرفاً كان كقوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح: ٢٥]، أو اسماً نحو، قوله تعالىٰ: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: ٢٨].

وتزاد بعد أداة الشرط جازمة كانت نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]، أو غير جازمة نحو قوله تعال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ

سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم ﴾ [فُصِّلَت: ٢٠] ، وبين المتبوع وتابعه نحو: ﴿ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا ﴾ [البقرة: ٢٦] ، قال الزجّاج: ما حرف زائد للتوكيد عند جميع البصريّين.

لا: تزاد مع الواو بعد النفي، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤] ، وتزاد بعد أن المصدريّة، كقوله تعالىٰ: ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الحديد: ٢٩] ، أي ليعلم، ولولا تقدير الزيادة لانعكس المعنىٰ فزيدت لا لتوكيد النفي قاله ابن جنّيّ، وقد تزاد قبل القسم نحو، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠] ، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة: ٧٥] ، وقوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة: ١] ، أي أقسم بثبوتها.

من: تزاد في الكلام الوارد بعد نفي أو شبهه، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ [المُلك: ٣] ، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

الباء: تزاد في الفاعل، نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [يونس: ٢٩] ، أي: كفىٰ الله، إلا أنّها في التعجّب لازمة، ويجوز حذفها في فاعل كفىٰ، مثل: قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [الفتح: ٢٨] ، و: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ، وإنما هو كفىٰ الله وكفانا، وقال الزجّاج: دخلت لتضمّن كفىٰ معنىٰ اكتفىٰ وهو حسن، وتزاد في المفعول، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] ؛ لأنّ الفعل يتعدّىٰ بنفسه، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ [الحِجر: ١٩] ، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٥] ، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤] ، وتزاد في المبتدأ وهو

قليل، ومنه عند سيبويه ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦]، وفي خبر المبتدأ، نحو قوله تعالىٰ: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ [يونس: ٢٧]، وفي خبر ليس، كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦].

اللام: تزاد معترضة بين الفعل ومفعوله، كقوله:

وملكت ما بين العراق ويثرب ❁ ملكاً أجار لمسلم ومعاهد

وجعل منه المبرّد قوله تعالىٰ: ﴿أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]، وتزاد لتقوية العامل الضعيف إمّا لتأخّره، نحو قوله تعالىٰ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، أو لكونه فرعاً في العمل نحو قوله تعالىٰ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧][(١)].

(١) البرهان، الزركشي، (٣/٧٥ وما بعدها). ـ الزيادة في القرآن الكريم، المؤلف: سهير إبراهيم أحمد سيف، (ص٤٧ وما بعدها)، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٠م. ـ معاني حروف الزيادة عند النحاة، المؤلف: محمّد جمعة حسن نبعة، (ص١٠٧ وما بعدها)، جامعة إب، اليمن.

المطلب الثالث

التضمـين

❊ **التضمين لغة**: من الفعل الثلاثي ضمن، الضاد والميم والنون أصلٌ صحيح، وهو جَعْل الشَّيء في شيءٍ يحويه، من ذلك قولهم: ضمَّنت الشيء، إِذا جعلته في وعائه، والكَفَالة تسمَّىٰ ضَمَاناً من هذا؛ لأنَّه كأنَّه إذا ضمِنَه فقد استوعَبَ ذمّته، وضمن الشيء، إذا أودعه إيّاه كما تودع الوعاء المتاع والميّت القبر[١].

❊ **التضمين اصطلاحاً**: عرّفه العلماء بعدّة تعريفات، أذكر منها:

قال الزركشيّ: التضمين هو إعطاء الشيء معنىٰ الشيء، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف[٢].

قال ابن هشام: قد يشربون لفظاً معنىٰ لفظ فيعطونه حكمه، ويسمّىٰ ذلك تضميناً[٣].

قال ابن جنّيّ: هو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدّىٰ به؛ لأنّه في معنىٰ

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣/٣٧٢). ـ مجمل اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: زهير عبد المحسن سلطان، (ص٥٦٦)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م. ـ تاج العروس، الزبيدي، (٣٥/٣٣٤).

(٢) البرهان، الزركشي، (٣/٣٣٨).

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: جمال الدين أبو محمّد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله، (ص٨٩٧)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

فعل يتعدّىٰ به[١].

قال السيوطيّ: إيقاع لفظ موقع غيره لتضمّنه معناه[٢]، وقال أيضاً: هو إعطاء الشيء معنىٰ الشيء ويكون في الحروف والأفعال والأسماء[٣].

وقال الأشمونيّ: التضمين إشراب اللفظ معنىٰ لفظ آخر وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدّي مؤدّىٰ كلمتين[٤].

ومن هذه التعاريف يتّضح أنّ من العلماء من يقصر التضمين علىٰ الأفعال فقط، ومنهم من يقول بوقوعه في الأفعال والأسماء والحروف، إلا إنّهم متّفقون علىٰ أنّ أكثر وقوعه في الأفعال، قال ابن جنّيّ: اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنىٰ فعل آخر وكان أحدهما يتعدّىٰ بحرف والآخر بآخر فإنّ العرب قد تتّسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا الفعل في معنىٰ ذلك الآخر[٥]، وكثرة الاستعمال لا تعني انحسار التضمين في باب الأفعال، وإنّما قد تعدّاه إلىٰ باقي أنواع الكلم، وهذا ما قرّره ابن هشام حيث يقول: وفائدة التضمين أن يدلّ بكلمة واحدة علىٰ معنىٰ كلمتين يدلّك علىٰ ذلك أسماء الشرط والاستفهام[٦].

والتضمين في اللغة له صلة بقواعد الإعراب، من حيث تعدّي الفعل بنفسه، أو تعدّيه بالحرف، كما وله صلة بعلم البيان من حيث جهة التصرّف في

---

(١) الخصائص، ابن جنّيّ، (٢/٤٣٥).
(٢) الإتقان، السيوطي، (٢/٢٤٣).
(٣) الإتقان، السيوطي، (٢/١٠٩).
(٤) حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني لألفية ابن مالك، المؤلف: أبو العرفان محمّد بن علي الصبان الشافعي، (٢/١٣٨)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٧م.
(٥) الخصائص، ابن جنّيّ، (٢/٣٠٨).
(٦) مغني اللبيب، ابن هشام، (ص٦٨٨).

معنىٰ الفعل، وعدم الوقوف به عند حدّ ما وضع له، ولشدّة الترابط بينهما ذهب بعض العلماء إلىٰ القول بأنّ التضمين النحويّ هو التضمين البيانيّ، فهو بهذه الناحية لم يعدّ كبقيّة قواعد النحو، والغرض من التضمين، بينما الزمخشريّ في تفسيره حيث يقول: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوىٰ من إعطاء معنىٰ فذّ، ألا ترىٰ كيف رجع المعنىٰ إلىٰ قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلىٰ غيرهم، ونحوه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: ولا تضمّوها إليها آكلين لها، وقرئ: ولا تعد عينيك، ولا تعدّ عينيك، من أعداه وعدّاه نقلاً بالهمزة وتثقيل الحشو[١].

❖ فوائد التضمين:

ذكر العلماء فوائد متعدّدة للتضمين أذكر منها:

❋ التوسّع في المعنىٰ: وبيّنه ابن هشام والزمخشريّ، قال ابن هشام: وفائدة التضمين أن يدلّ بكلمة واحدة علىٰ معنىٰ كلمتين[٢]، وقال الزمخشريّ: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوىٰ من إعطاء معنىٰ فذّ[٣]، واستعمال الكلمة الواحدة لتعطي أكثر من معنىٰ ما هو إلا باب من أبواب التوسّع في المعنىٰ.

❋ الإيجاز في اللفظ: تأدية المعنىٰ الواسع بأقصر الألفاظ ضرب من ضروب البلاغة، قال محمّد الخضر الحسين: للتضمين غرض هو الإيجاز[٤].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (تفسير الزمخشري)، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (٢/٧١٧)، الناشر: دار الكتاب العربيّ ـ بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢) مغني اللبيب، ابن هشام، (ص٦٨٨).

(٣) الكشاف، الزمخشري، (٢/٧١٧).

(٤) دراسات في العربيّة وتاريخها، المؤلف: محمّد الخضر حسين، (ص٢٠٥)، الناشر: المكتب

* الاختصار في الأساليب: يقول الدكتور فاضل السامرائيّ: للتضمين غرض بلاغيّ لطيف، وهو الجمع بين المعنيين بأقصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جرّ يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين، معنىٰ الفعل الأوّل، ومعنىٰ الفعل الثاني[١].

* الأنس بالعربيّة والبحث عن أسراها: يقول ابن جنّيّ: ووجدت في اللغة من هذا الفنّ شيئاً كثيراً لا يكاد يُحاط به، ولعلّه لو جُمع أكثره لا جميعه؛ لجاء كتاباً ضخماً وقد عرفت طريقه، فإذا مرّ بك شيء منه فتقبَّله، وائنس به، فإنّه فصل من العربيّة لطيف حسن، يدعو إلىٰ الأنس بها والفقاهة فيها[٢].

* يعصم من الخطأ في العربيّة: قال ابن هشام: وقوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، أي: يمتنعون من وطء نسائهم بالحلف، فلهذا عدّي بمن، ولما خفي التضمين علىٰ بعضهم في الآية ورأىٰ أنّه لا يقال حلف من كذا بل حلف عليه قال: من متعلّقة بمعنىٰ للذين، كما تقول لي منك مبرّة، قال: وأمّا قول الفقهاء آلىٰ من امرأته فغلط أوقعهم فيه عدم فهم المتعلّق في الآية[٣]، فقد علّق ابن هشام الخطأ التعليق علىٰ عدم فهم معنىٰ التضمين.

الإسلامي ومكتبة دار الفتح، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.

(١) معاني النحو، المؤلف: فاضل السامرائي، (٣/١٤٠)، العراق، الموصل، ١٩٩٠م.

(٢) الخصائص، ابن جنّيّ، (٢/٣١٠).

(٣) مغني اللبيب، ابن هشام، (ص٦٨٨).

المبحث الرابع
ثمـار علم النحـو

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأوّل: تقويم اللسان وصونه من الغلط.
- المطلب الثاني: فهم كلام الله وسنة رسوله.
- المطلب الثالث: المحافظة على العربيّة.

المطلب الأوّل

تقويم اللسان وصونه من الغلط

اللغة العربيّة هي اللغة التي اختارها الله لهذا الدِّين، ولا يَمْتَرِي أحدٌ في أنَّ اللُّغة العربيّة وعلومَها تُنَزَّلُ من علومِ الإسلامِ ومعارفِه مَنْزِلة اللسان من جَوارح الإنسان، بل منزلةَ القلب منَ الجَسَد؛ لأنَّها لسان الإسلام الأَسْمى، بها أُنْزِلَ القرآن العظيم، فقال ـ ﷻ ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وسبق وأن ذكرت أنّ أهمّ أسباب وضع علم النحو هو اللحن الطارئ على اللسان العربيّ من اختلاط العرب بالأعاجم، ويعتبر واضعوا قواعد هذا العلم أنّ الفائدة الأسمى منه سواء للعالم والمتعلّم وغيرهما هو تقويم اللسان عن الوقوع في الخطأ أثناء الكلام أو الكتابة، يقول ابن خلدون موضّحاً أهميّة العلم في تقويم اللسان: اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلّف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب[1].

أورد ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ

(١) مقدّمة ابن خلدون، (٢/٣٦٧).

النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَأَنْ أَقْرَأَ آيَةً بِإِعْرَابٍ[١]؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَذَا وَكَذَا آيَةً بِغَيْرِ إِعْرَابٍ[٢].

وكان أيوب السختيانيّ يقول: تعلّموا النحو، فإنّه جمال للوضيع، وتركه هجنة للشريف[٣].

قال أبو إسحاق الزجّاج، قال: سمعت أبا العبّاس المبرّد يقول: كان بعض السلف يقول: عليكم بالعربيّة فإنّها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله ﷻ وأنبيائه وملائكته[٤].

وما أحوج الأساتذة، والمعلّمين، والمدرّسين، والخطباء، والمذيعين، والمتحدّثين إلى تقويم ألسنتهم، وضبط ألفاظهم بقواعد اللغة وعلم النحو؛ ليستفيد منهم طلابهم وتلاميذهم، ويعتادوا النطق العربيّ الصحيح في مجالساتهم وسائر شؤونهم؛ لأنَّ اللِّسان العربيّ شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم الشعائر التي تتميّز بها الأمم، وشخصيَّة أيّ أمّة تبدو جَليَّة عند اعتيادها الأخذ بلغتها، والاعتزاز بالنطق السليم بكافة قواعدها، لأنّ تَرْكَ النطق الصحيح باللُّغة مضيعة لشخصيَّة الأمَّة، وامحاء لها، وذوبان لتلكَ الشَّخصيَّة في كيان الأمم التي تَتَكَلَّم الأمّة لغاتها.

يقول إسحاق بن خلف البهرانيّ المعروف بابن الطبيب موضّحاً أهميّة

(١) قال ابن جني في الخصائص، (١/٣٥): الإعراب: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ.. والمقصود: الفهم والتمعّن بعد القراءة الصحيحة.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة، (٦/١١٦)، رقم: (٢٩٩١٨).

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، (ص٣٢٣).

(٤) الإيضاح في علل النحو، المؤلف: أبو القاسم عبين إسحاق الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، (ص٩٥)، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

النحو في تقويم اللسان العربيّ:

النَّحْـوُ يَبْسُـطُ مِـنْ لِسَـانِ الأَلْكَـنِ ❁ وَالمَـرْءُ تُعْظِمُـهُ إِذَا لَـمْ يَلْحَـنِ
فَـإِذَا طَلَبْـتَ مِـنَ العُلُـومِ أَجَلَّهَـا ❁ فَأَجَلُّهَـا مِنْهَـا مُقِـيمُ الأَلْسُـنِ
لحْـنُ الشَّـرِيفِ يُزِيلُـهُ عَـنْ قَـدْرِه ❁ وَتَـرَاهُ يَسْـقُطُ مِـنْ لِحَـاظِ الأَعْـيُنِ
وتَـرَىٰ الوَضِـيعَ إِذَا تَكَلَّـمَ مُعْرِبًـا ❁ نَـالَ المَهَابَـةَ بِاللِّسَـانِ الأَلْسَـنِ
مَـا وَرَّثَ الآبَـاءُ عِنْـدَ وَفَـاتِهِمْ ❁ لِبَنِـيهِمُ مِثْـلَ العُلُـومِ فَـأَتْقِنِ
فَاطْلُـبْ هُـدِيتَ وَلا تَكُـنْ مُتَأَبِّيًـا ❁ فَـالنَّحْوُ زَيْـنُ العَـالِمِ المُتَفَـنِّنِ
والنَّحْـوُ مِثْـلُ المِلْـحِ إِنْ أَلْقَيْتَـهُ ❁ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْ طَعَامٍ يَحْسُنِ[1].

كتب معاوية رضي الله عنه إلىٰ زياد: إنّ ابنك كما وصفت، ولكن قوّم من لسانه[2].

وممّا سبق يتبيّن أنّ النطق السليم للغة العرب من أهمّ ثمار تعلّم قواعد علم النحو، فلسان الإنسان شخصيّته وهويّته، فإذا استقام اللسان فصيحاً لا لحن ولا عجمة فيه، استقام فهم الرجل وتفكيره.

(١) الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرد، المحقق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، (١٩/٢)، الناشر: دار الفكر العربيّ، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م. ـ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٢١/٥). ـ صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشا، المؤلف: أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: يوسف علي طويل، (٢٠٦/١)، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٧م.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، (ص٣١٩).

المطلب الثاني
فهم كلام الله وسنّة رسوله ﷺ

النحو عِماد اللغة العالِمة والأدب والبَلاغة، بل هو عِماد الثّقافة والعلوم العربيّة القُحّة، فلا فِقه، ولا حديث، ولا تفسير، ولا علم كَلام بدونه، فبه تفهم العبارات وتحلّ الألغاز، فكم من فَقيه أفتىٰ المسلمين في دينهم من كِتاب سيبوْيه؛ لأنّه بفهمه للكتاب فهم استنباط الحكم، وكم من قاعدة فِقهية بُنيتْ علىٰ أساس قاعِدة نحويّة، والشبه بيْنهما لا يترُك مجالاً للشّكّ، ويعتبر العلماء أنّ علم النحو بمكانة أبي العلوم العربيّة والقنطرة التي نعبر بها عليه إلىٰ التزوّد بالعلوم اللغويّة والشرعيّة وغيرها، فهو واسطة عقدها، وبفهم قواعد النحو يسلم الكتاب والسنّة موئل الدين وذخيرة المسلمين من عادية اللحن والتحريف في الفهم، قال الإمام الشافعيّ: من تبحّر في النحو اهتدىٰ إلىٰ جميع العلوم، وقال أيضاً: لا أسأل عن مسألة في الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو، فقال له محمّد ابن الحسن الشيبانيّ: ما تقول فيمن سها في سجود السهو، أيسجد للسهو؟، قال الشافعيّ: لا؛ لأنّ المصغّر لا يصغّر[1].

لأهميّة قواعد النحو في فهم السنّة تطرق الكثير من السلف إلىٰ ضرورة تعلّم قواعده، أورد الخطيب البغداديّ في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي» قول عبد الله بن سعيد الرحبيّ: سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحّان، فكتب

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمّد العكري الحنبلي الدمشقي، (١/٣١٤)، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

عن اللحّان لحّان آخر، فكتب عن اللحّان لحّان آخر، صار الحديث بالفارسيّة، فعلّق البغداديّ بقوله: فينبغي للمحدّث أن يتّقي اللحن في روايته للعلّة التي ذكرناها، ولن يقدر على ذلك إلا بعد درسه النحو ومطالعته علم العربيّة[١].

وعن أبي داود السنجيّ قال: سمعت الأصمعيّ يقول: إنّ أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبيّ ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٢]؛ لأنّه ﷺ لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه[٣]، وقد سبق قول ابن هشام فيمن خفي عليه التضمين فأخطأ في تعليق حرف الجر، وذكر ياقوت الحمويّ في كتابه «معجم الأدباء» عدّة حوارات بين الكسائيّ والإمام أبي يوسف القاضي تتعلّق بفهم استنباط الحكم الشرعيّ الصحيح عن طريق فهم قواعد اللغة والنحو، أذكر منها: قال عبد الله بن جعفرٍ: دخل أبو يوسف على الرشيد وعنده الكسائيّ يحدّثه فقال: يا أمير المؤمنين، قد سعد بك هذا الكوفيّ وشغلك، فقال الرشيد: النحو يستفرغني؛ لأنّني أستدلّ به على القرآن والشعر، فقال أبو يوسف: إنّ علم النحو إذا بلغ فيه الرجل الغاية صار معلّماً، والفقه إذا عرف الرجل منه جملة صار قاضياً، فقال الكسائيّ: أنا أفضل منك؛ لأنّي أحسن ما تحسن، وأحسن ما لا تحسن، ثمّ التفت إلى الرشيد وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي، الخطيب البغدادي، (٢/٢٤).

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الشهير بصحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (١/٣٣)، رقم: (١٠٧)، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٣٧/٨٠). ـ سير أعلام النبلاء، المؤلف: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، التحقيق: بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، (٧/١١٥)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

عن مسألة من الفقه، فضحك الرشيد وقال: أَبَلَغْت يا كسائيّ إلىٰ هذا؟، ثمّ قال لأبي يوسف: أجبه، فقال الكسائيّ: ما تقول لرجلٍ قال لامرأته أنت طالق أن دخلت الدار؟، فقال أبو يوسف: إذا دخلت طلقت، فقال الكسائيّ: أخطأت، إذا فتحت أن فقد وجب الأمر، وإذا كسرت فإنّه لم يقع الطلاق بعد، فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو، وحدّث أيضاً عمّن سمع الكسائيّ يقول: اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذمّ النحو ويقول: وما النحو؟، فقلت ـ وأردت أن أعلّمه فضل النحو ـ: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلٌ غلامَك؟، وقال له آخر: أنا قاتلُ غلامِك، أيّهما كنت تأخذ به؟، قال آخذهما جميعاً، فقال له هارون: أخطأت، وكان له علم بالعربيّة، فاستحيا وقال: كيف ذلك؟، قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِك بالإضافة، لأنّه فعل ماض، وأمّا الذي قال: أنا قاتلٌ غلامَك بالنصب فلا يؤخذ، لأنّه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]، فلولا التنوين مستقبل ما جاز فيه غداً، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربيّة والنحو(١).

قال ابن تيميّة: الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربيّة هو الطريق إلىٰ فقه أقواله، وفقه السنّة هو فقه أعماله(٢).

---

(١) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، (٦٦/٢)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م. ـ نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، تأليف الحافظ أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسىٰ المرزباني، اختصار: أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود اليغموري، (١٠٥)، الناشر: فرانتش شتاينر، ١٩٦٤م.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، (٥٢٨/١)، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت،=

قال ابن خلدون: الفصل السادس والثلاثون في علوم اللسان العربيّ، أركانه أربعة: وهي اللغة، والنحو، والبيان، والأدب، ومعرفتها ضروريّة على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعيّة كلّها من الكتاب والسنّة، وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلّقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسبما يتبيّن في الكلام عليها فنّاً فنّاً، والذي يتحصّل أنّ الأهمّ المقدّم منها هو النحو؛ إذ به تتبيّن أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة وكان من حقّ علم اللغة التقدّم لولا أنّ أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغيّر بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند والمسند إليه، فإنّه تغيّر بالجملة ولم يبق له أثر، فلذلك كان علم النحو أهمّ من اللغة إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك[1].

= لبنان، الطبعة: السابعة، ١٩٩٩م.

(١) مقدّمة ابن خلدون، (٢/٥٤٥).

المطلب الثالث

المحافظة على العربيّة

اللغات من أعظم شعائر الأمم التي يَتَمَيَّزون بها عن بعضهم البعض ، ولغتنا العربيّة هي لغة القرآن الكريم والسنّة النبويّة ، ومن واجب كلّ مسلم وكلّ عربيّ أن يحافظ على هذه اللغة غضة طريّة سليمة ، دراسة وتدريساً ، واستعمالاً بالنطق الصحيح ، فإنَّ الأمَّة العزيزة هي التي تعتزّ بلغتها ، وتحرص على استقلالها اللُّغَويّ ؛ كما تحرص على استقلالها العسكريّ والاقتصاديّ سواء ، وتحترم قوانينها اللُّغَويَّة ، وتَتَمَسَّك بها ، كما تحترم أنظمتها وقوانينها ، والأمَّة الذَّليلة هي التي تفرّط في لغتها ، حتّى تصبح أجنبيَّة عنها ، وهي مَنسوبة إليها بالاسم فقط ، يقول الأديب مصطفى صادق الرافعيّ في كتابه «من وحي القلم» تحت عنوان: اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقوّمات الاستقلال: ما ذَلَّت لغة شعب إلّا ذَلَّ ، ولا انْحَطَّت إلّا كان أمره في ذَهابٍ وإِدْبار ، ومِن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغتَه فرضاً على الأمَّة المُستَعمَرَة ، ويركبهم بها ، ويشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقهم من ناحيتها ؛ فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد: أمَّا الأوَّل: فحبس لغتهم في لغته سجناً مؤبَّداً ، وأمَّا الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقَتل محواً ونسياناً ، وأمَّا الثالث: فتَقييد مُستقبلهم في الأَغلال التي يَصنَعُها ، فأمرهم من بعدها لأمره تَبَعٌ[1] ، ويقول أيضاً في كتابه تحت راية القرآن شاحذاً الهمم للمحافظة على اللغة العربيّة: وهذا ما تقوم عليه آداب الأمم المستقلّة المنفردة

(١) من وحي القلم ، المؤلف: مصطفى صادق الرافعي ، (٢٩/٣) ، الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ٢٠٠٢م.

بجنسيّتها ومقوّماتها، ألا ترىٰ كيف تُباهي كلّ أمّة في أوروبا بلغتها، وكيف يفخر الفرنسيّون بلسانهم حتىٰ إنّهم ليجعلونه أوّل ما يعقدون عليه الخنصر إذا عدّوا مفاخرهم ومآثرهم، وهل أعجب من أنّ المجمّع العلميّ الفرنسيّ يؤذن في قومه بإبطال كلمة إنجليزيّة كانت في الألسنة من أثر الحرب الكبرىٰ ويوجب إسقاطها من اللغة جملة، وهي كلمة «نظام الحصر البحريّ»، وكانت ممّا جاءت مع نكبات فرنسا في الحرب العظمىٰ، فلمّا ذهبت تلك النكبات رأىٰ المجمّع العلميّ أنّ الكلمة وحدها نكبة علىٰ اللغة؛ كأنّها جنديّ دولة أجنبيّة في أرض دولة مستقلّة بشارَته وسلاحه وعلمه يعلن عن قهر أو غلبة أو استعباد، وهل فعلوا ذلك إلّا أنّ التهاون يدعو بعضه إلىٰ بعض، وأنّ الغفلة تبعث علىٰ ضعف الحفظ والتصوُّن، وأنّ الاختلاط والاضطراب يجيء من الغفلة، والفساد يجتمع من الاختلاط والاضطراب، إنّما الأمور بمقاديرها في ميزان الاصطلاح لا بأوزانها في نفسها، فألف جنديّ أجنبيّ بأسلحتهم وذخيرتهم في أرض هالكة بأهليها ربما كانوا غوثاً تفتّحت به السّماء، ولكن جنديّاً واحداً من هؤلاء في أمّة قويّة مستقلّة تنشقّ له الأرض وتكاد السماء أن تقع، فالمذهب الجديد فساد اجتماعي ولا يدري أهله أنّهم يضربون به الذلّة علىٰ الأمّة[1].

ولم يكنِ العَرَبُ عندما يفتحون بلدًا منَ البُلدان يتركون لسانَهم ولسان قرآنهم من أجل لسان أحد؛ وإنّما تغلب العربيّة علىٰ أهل المِصْر المَفْتوح حتَّىٰ تطبق عليه، ويكره المسلمونَ أَشَدَّ الكُرْهِ أن تَتَفَشَّىٰ فيهم العُجْمة والرَّطَانَة البعيدتان عن لغة الكتاب وأهله، يقول ابن تيميّة في كتابه «اقتضاء الصراط»: وأمّا اعتياد الخطاب بغير اللغة العربيّة التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتىٰ

(١) تحت راية القرآن، المعركة بين القديم والجديد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢م.

يصير ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار، أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أنّ هذا مكروه، فإنّه من التشبّه بالأعاجم، وهو مكروه، ولهذا كان المسلمون المتقدّمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلهما روميّة، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسيّة، وأهل المغرب ولغة أهلها بربريّة، عوّدوا أهل هذه البلاد العربيّة، حتّىٰ غلبت علىٰ أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديماً، ثمّ إنّهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسيّة، حتّىٰ غلبت عليهم وصارت العربيّة مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أنّ هذا مكروه، وإنّما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربيّة، حتّىٰ يتلقّنها الصغار في المكاتب وفي الدور، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل علىٰ أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنّة[1].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (١/٥٢٦).

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذا البحث وهو: (النحو العربيّ، نشأته، مدارسه، قضاياه، ثماره)، الذي طفت معه في أمهات المصادر اللغويّة، والمراجع الحديثة، يمكنني أن أذكر أهمّ النتائج والتوصيات.

❖ أهم **النتائج** التي توصّلت إليها:

❋ إنّ وضع علم النحو عربيّ محض لم يؤخذ من اللغات الأخرىٰ.

❋ إنّ علم النحو مرّ بمراحل متعّددة حتّىٰ اكتملت سائر قواعده.

❋ إنّ علم النحو بصريّ الوضع والتأسيس، لكن ساهمت مدرسة الكوفة في نموّه ونضجه، والمدارس الأخرىٰ في بسطه وترجيح المسائل المختلف فيها.

❋ إنّ علماء العربيّة والنحو متّفقون علىٰ وجود حروف الزيادة في الكلام العربيّ، وأنّها من أساليب البلاغة، لكنّهم اختلفوا في تسميتها: حروف زيادة أم حروف صلة تنزيهاً للقرآن الكريم عن وجود الزيادة فيه، وهذا اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح.

❖ أهم **التوصيات:**

❋ علىٰ أبناء اللسان العربيّ خصوصاً والمسلمين عموماً أن ينتبهوا إلىٰ مكانة اللغة العربيّة التي كرّمها الله بنزول كتاب خاتم الرسالات بحروفها.

* وجوب المحافظة على اللغة العربيّة ليس تدريساً ودراسة فحسب، بل باستعمالها بالنطق الصحيح في كافّة مجالات حياتهم، كما وعليهم أن يتجنّبوا الرطانة بالكلام الأعجميّ الأجنبيّ، فلا رفعة لأمّة إلا باعتزازها بلغتها والقيام بها.

* كما وإنني أوجّه نداء لكافّة المؤسسات الرسميّة وغيرها في كافّة أرجاء الأرض العربيّة والإسلاميّة للعمل الجادّ الدؤوب المتواصل في نشر ثقافة التواصل باللغة العربيّة الفصيحة، حتّى في وسائل التواصل المستجدّة الحديثة.

وفي الختام: هذا ما وفّقني الله لكتابته، والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن أكون قد وفقت فيما كتبت، وأن ينفعني به والمسلمين، فإن أحسنت فمن فضل الله ﷻ وكرمه عليَّ، ثمّ دعاء والديّ لي، وإن غير ذلك فمن نفسي وتقصيري، والحمد لله ربّ العالمين في البدء والختام، وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمّد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

تمّ بفضل الله ومنّه وكرمه الانتهاء من العمل في دولة الكويت:

د. محمَّد زكريّا محمود صـاري

١٠/ ربيع الأوّل/ ١٤٢٨هـ

٢٩/ آذار ـ مارس/ ٢٠٠٧م

الفهـارس العـامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
١	البقرة	﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾.	٩١	٨٠
		﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.	١٩٥	٧٩
		﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.	٢٢٦	٨٤
٢	آل عمران	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾.	١٥٩	٧٨
٣	النساء	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾.	٢	٨٣
		﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾.	٧٨	٧٨
		﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾.	١٥٥	٧٨
		﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.	١٧١	٧٨
٤	الأنعام	﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾.	٥٩	٧٩
٥		﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾.	١٣٨	٧٨
		﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.	١٥٤	٨٠
		﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.	٢٠٠	٧٨
٦	الأنفال	﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾.	٦	٧٨
٧	يونس	﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾.	٢٧	٨٠
		﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.	٢٩	٧٩
٨	هود	﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.	١٠٧	٨٠

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
٩	يوسف	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.	٢	٢٠-٨٧
		﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾.	٤٣	٨٠
١٠	الرعد	﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾.	٣١	٧٤
		﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾.	٣٧	٢٠
١١	الحجر	﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾.	١٩	٧٩
١٢	الإسراء	﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ ﴾.	١١٠	٧٨
١٣	مريم	﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾.	٢٥	٧٩
١٤	المؤمنون	﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾.	٩١	٧٩
١٥	الشعراء	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾.	١٩٣ - ١٩٥	٢٠
١٦	النمل	﴿ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴾.	٧٢	٨٠
١٧	القصص	﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾.	٢٨	٧٨
١٨	العنكبوت	﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾.	٣٣	٧٨
١٩	فاطر	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾.	٢٨	٧٨
٢٠	يس	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.	٤٥	٧٤
٢١	الزمر	﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.	٢٨	٢٠
		﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾.	٣٦	٨٠

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٢	فصلت	﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.	٣	٢٠
		﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم ﴾.	٢٠	٧٩
٢٣	الحديد	﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.	٢٩	٧٩
٢٤	الواقعة	﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾.	٧٥	٧٩
٢٥	الملك	﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾.	٣	٧٩
٢٦	القلم	﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾.	٦	٨٠
٢٧	المعارج	﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾.	٤٠	٧٩
٢٨	نوح	﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ ﴾.	٢٥	٧٨
٢٩	القيامة	﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.	١	٧٩
		﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾.	٤٠	٨٠
٣٠	العلق	﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾.	١٤	٧٩

فهرس الأحاديث والآثار

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١	تعلَّموا العربيّة ؛ فإنها تُشبِّب العقل ، وتزيد في المروءة.	١٨
٢	تَعَلَّمُوا اللَّحْنَ وَالْفَرَائِضَ وَالسُّنَّةَ كَمَا تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ	١٨
٣	لَأَنْ أَقْرَأَ آيَةً بِإِعْرَابٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَذَا وَكَذَا آيَةً بِغَيْرِ إِعْرَابٍ	٨٨
٤	من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار	٩١

فهرس المصادر والمراجع

* **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، المؤلف: أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري الكناني، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
* **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
* **الإصابة في تمييز الصحابة**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمّد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
* **الأصول في النحو**، المؤلف: أبو بكر محمّد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
* **إعراب القرآن**، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
* **الأعلام**، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
* **الاقتراح في أصول النحو وجدله**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمود فجال، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.
* **إيضاح الوقف والابتداء**، المؤلف: أبو بكر محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشار الأنباري، المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ١٩٧١م.
* **الإيضاح في علل النحو**، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

* **البرهان في علوم القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله محمّد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
* **البلغة إلى أصول اللغة**، المؤلف: أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، المحقق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، جامعة تكريت، العراق.
* **البيان والتبيين**، المؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، الناشر: دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
* **تاج العروس من جواهر القاموس**، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
* **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، المعروف بتاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
* **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، الشهير بتاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
* **تحت راية القرآن**، المعركة بين القديم والجديد، المؤلف: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
* **تهذيب اللغة**، المؤلف: أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م.
* **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، المؤلف: أبو محمّد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، الناشر: دار الفكر العربيّ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.
* **الجامع المسند الصحيح المختصر** من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الشهير بصحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد

زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

* **جامع بيان العلم وفضله**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٤م.
* **حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، المؤلف: أبو العرفان محمّد بن علي الصبان الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٧م.
* **الحذف والتخفيف في الجملة القرآنية**، المؤلف: خليل إسماعيل الأسمر، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
* **الحذف والتقدير في النحو العربيّ**، المؤلف: علي أبو المكارم، درا غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.
* **الخصائص**، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جنّيّ، تحقيق: محمّد علي النجار، الناشر: عالم الكتب، بيروت.
* **دراسات في العربيّة وتاريخها**، المؤلف: محمّد الخضر حسين، الناشر: المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتح، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.
* **دراسة في النحو الكوفي**، المؤلف: المختار أحمد ديرة، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١م.
* **دلائل الإعجاز**، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد الجرجاني، تحقيق: محمّد التنجي، الناشر: دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٥م.
* **الزيادة في القرآن الكريم**، المؤلف: سهير إبراهيم أحمد سيف، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠٠م.
* **سير أعلام النبلاء**، المؤلف: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، التحقيق: بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

* **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمّد العكري الحنبلي الدمشقي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
* **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، المؤلف: بدر الدين محمّد ابن الإمام جمال الدين محمّد بن عبد الله بن مالك، المحقق: محمّد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.
* **شرح المفصل**، المؤلف: أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمّد بن علي، المعروف بابن يعيش، قدّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
* **شعب الإيمان**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.
* **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤلف: أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: يوسف علي طويل، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
* **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة**، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٠م.
* **طبقات النحويين واللغويين**، المؤلف: أبو بكر محمّد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، المحقق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف.
* **طبقات فحول الشعراء**، المؤلف: محمّد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمّد شاكر، الناشر: دار المدني، جدة.
* **ظاهرة الحذف بين النحو والبلاغة**، المؤلف: سليمان أبو عيسى، شبكة الألوكة.
* **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
* **الكامل في اللغة والأدب**، المؤلف: أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد، المحقق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربيّ، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

* **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمّد ابن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
* **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (تفسير الزمخشري)، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربيّ ـ بيروت، ١٤٠٧هـ.
* **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.
* **لسان العرب**، المؤلف: محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
* **مجمل اللغة**، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: زهير عبد المحسن سلطان، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
* **المحرر الوجيز في النحو**، المؤلف: فخر الدين الرازي، الناشر: مطبعة البابي الحلبي، مصر، القاهرة.
* **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، المؤلف: أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
* **مشكل إعراب القرآن**، المؤلف: أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
* **معاني النحو**، المؤلف: فاضل السامرائي، العراق، الموصل، ١٩٩٠م.
* **معاني حروف الزيادة عند النحاة**، المؤلف: محمّد جمعة حسن نبعة، جامعة إب، اليمن.
* **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ياقوت الحموي الرومي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

* **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمّد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
* **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، المؤلف: جمال الدين أبو محمّد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
* **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، المؤلف: الدكتور جواد علي، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠١م.
* **مقدّمة ابن خلدون**، المؤلف: ولي الدين عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون، المحقق: عبد الله محمّد الدرويش، الناشر: دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م
* **المقصد العليّ في زوائد أبي يعلى الموصلي**، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
* **المقنع في علوم الحديث**، المؤلف: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، ابن الملقن، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، الناشر: دار فواز للنشر، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.
* **من وحي القلم**، المؤلف: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ٢٠٠٢م.
* **النحو العربيّ قضاياه ومراحل تطوره**، المؤلف: أحمد جميل الشامي، الناشر: دار الحضارة للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.
* **النحو العربيّ نشأته تطوره مدارسه رجاله**، المؤلف: صلاح راوي، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
* **النحو العربيّ وتطوره في القرنين الأول والثاني هجريين**، المؤلف: جليلي زهيرة، كلّية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، الجمهورية الجزائرية.
* **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**، المؤلف: محمّد الطنطاوي، الناشر: دار المعارف،

القاهرة، الطبعة الثانية.

* **نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء**، تأليف الحافظ أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى المرزباني، اختصار: أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود اليغموري، الناشر: فرانتش شتاينر، ١٩٦٤م.
* **الوسيط في النحو العربيّ**، المؤلف: عبد الكريم محمّد الأسعد، الناشر: دار الشواف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
ملخص البحث	٦
المقدّمة	٧
التمهيد: مدخل إلى أهميّة علم النحو	١٣
المطلب الأوّل: تعريف علم النحو لغة واصطلاحا	١٥
المطلب الثاني: أهميّة علم النحو والحاجة إليه	٢٠
المطلب الثالث: اللحن وأسباب ظهوره	٢٤
المبحث الأوّل: نشأة علم النحو، وفيه ثلاثة مطالب	٢٩
المطلب الأوّل: أسباب نشوء علم النحو وتطوره	٣١
المطلب الثاني: وضع علم النحو	٤٠
المطلب الثالث: أول ما وضع من علم النحو	٤٤
المبحث الثاني: مدارس علم النحو وفيه خمسة مطالب	٤٧
المطلب الأوّل: مدرسة البصرة	٤٩
المطلب الثاني: مدرسة الكوفة	٥٤
المطلب الثالث: مدرسة بغداد	٥٨
المطلب الرابع: مدرستا مصر والشام	٦٢
المطلب الخامس: مدرسة الأندلس	٦٥
المبحث الثالث: قضايا علم النحو وفيه ثلاثة مطالب	٦٩
المطلب الأوّل: الحذف	٧١

الموضوع	الصفحة

المطلب الثاني: الزيادة ٧٦
المطلب الثالث: التضمين ٨١
المبحث الثالث: ثمار علم النحو وفيه ثلاثة مطالب ٨٥
المطلب الأوّل: تقويم اللسان وصونه من الغلط ٨٧
المطلب الثاني: فهم كلام الله وسنة رسوله ٩٠
المطلب الثالث: المحافظة على العربيّة ٩٤
الخاتمة ٩٧
الفهارس ٩٩
فهرس الآيات ١٠١
فهرس الأحاديث ١٠٣
فهرس المصادر والمراجع ١٠٤
فهرس الموضوعات ١١١